# مواعظ ابن الجوزي

## المسمى: الياقوتة



تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠هـ - ٥٩٧هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد عبد التواب عوض

دار الفضيلة

# مواعظ ابن الجوزي

## المسمى: الياقوتة



تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد عبد التواب عوض

دار الفضيلة

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس ٦٦٢٢٢٢٢
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

# إهداء

إلَى والـدَىّ ...

كما ربَّيَـانى صَغـيرًا ...

إلَى أولَادى ...

مريم وعبد الرحمن

أدعو الله أن ينبتهما نباتًا

حَسَنًا وَيُجَنِّبَهُما وذُرِّيَّتَهُما

الشَّيْطَان الرَّجِيم ..

أحمد عبد التواب عوض

٣٠ محرم ١٤١٥ هـ

الموافق ١٩٩٤/٧/٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدِّمة المحقِّق

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادى له .

وأَشهدُ أن لَا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأَشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعــد :

فإن النَّفْسَ الإنسانية تميل إلى الدَّعَةِ والخمول والكَسَل ، وتحتاج دائماً إلى التذكير والموعظة وتميل إلى الطمع فى الدنيا ، كما قال تعالى فى الحديث القدسى : « ابن آدم عندك ما يَكْفِيكَ ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ ما يُطغيك ، لا بقليلٍ تَقْنَعُ ، ولا من كثيرٍ تَشْبَعُ ، إذا أَصبحتَ مُعَافًى فى جَسَدِكَ آمِنًا فى سِرْ بِكَ ، عِنْدَكَ قُوتَ يَوْمِك فعلى الدنيا العفاء »(١) .

ولذلك آثرنا أن نقدم هذه الياقوتة من يواقيت ابن الجوزى فى الموعظة ، وتذكير النفس وحَضِّها على الطاعة والعمل الصالح ، والاستعداد لليوم الآخر ، عسى ربنا أن يَكْشِف عنا ما نَحْنُ فيه من الذنوب والمعاصى ، ويتوب علينا ، ويهدينا سبيله الأَقْوَم إذ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم ﴾(٢) . فعسى أن تأخذ هذه الرسالة بيد إنسان يريد التوبة إلى الله ، أو تُذَكِّر أخًا قد

---

(١) رواه بن عدى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) سورة الرعد ، الآية ١١ .

سها أو لَها ، أو توقظ ضمير أَحَدٍ أراد الشيطان أن يَسْتَهْوِيَهُ ، فهى رسالة صالحة كى يقرأها العالم والمتعلم ، والمجتهد والمبتدئ فلا أحد من هؤلاء يستغنى عن الموعظة .

فالموعظة كما قال عنها محمد بن تمام : جند من جنود الله تعالى ، ومثلها مثل الطين يُضْرَبُ به على الحائط ، إن استمسك نَفَعَ ، وإن وَقَعَ أَثَّر .

وإن الموعظة تنفع العاقل ، قال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – : لا تَكُونَنَّ ممن لا تنفعه الموعظة ، إلَّا إذا بالغتْ فى إيلامه ، فإن العاقل يَتَّعِظُ بالأدب ، والبهائم لا تتعظ إلَّا بالضرب .

أرشدنا الله إلى طاعته ، ويسَّر لنا سبيل الرَّشاد ، ووعظنا بما سمعنا وقرأْنا ووعينا ، إنه سَمِيعٌ قريب .

أحمد عبد التوّاب عوض

١٤١٥/١/٣٠هـ

الموافق ١٩٩٤/٧/٩م

* * *

# تَرجمةُ ابن الجَوزِيّ

## (٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

**اســمه :**

هو : أبو الفرج جمال الدين ابن أبى الحسن عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله [(١)] بن حمادى [(٢)] بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن [(٣)] بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، القرشى ، التيمى ، البكرى ، البغدادى ، الفقيه ، الحنبلى ، الواعظ ، المحدث ، الحافظ ، المفسر ، الأديب ، المؤرخ ، مشارك فى أنواع أُخرى من العلوم ، المعروف بابن الجوزى .

**نســبته :**

ابن الجوزى نسبة إلى « الجوز » ، وقد اخْتُلِفَ فى سَبَبِ نِسْبَتِهِ إليها فقيل :

١ - إن جَدَّه جعفر نُسِب إلى فُرْضَةٍ [(٤)] من فُرَضِ البصرة يقال لها : « جوزة » .

---

(١) فى معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة : « على بن عبيد الله بن حمادى » .

وفى طبقات الحفاظ ، للسيوطى : « عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن على بن على بن عبد الله » .

(٢) فى طبقات المفسرين للداودى : « حمادى بن إبراهيم بن أحمد بن جعفر بن عبيد الله » .

(٣) فى طبقات المفسرين ، للداودى : « عبد الله بن عبد الرحيم بن القاسم » .

(٤) **فرضة النهر** : ثلمته التى يستقى منها ، **وفرضة البحر** : محط السفن .

٢ - قال المنذرى : هو نسبة إلى موضع يقال له : « فرضة الجوز » .

٣ - ذكر ابن أبى الجيش : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى : « محلة الجوز » .

٤ - وقال الذهبى وتابعه السيوطى بقوله : بل كانت بداره فى واسط جوزة ، لم يكن بواسط جوزة سواها .

٥ - قال ابن خلكان وتابعه الزركلى فى الأعلام بقوله : إن نسبته إلى « مشرعة الجوز » إحدى محال بغداد بالجانب الغربى .

## مولده :

وكما اختلف فى نسبته اختلف فى مولده :

قال أبو المظفر المعروف بسبط ابن الجوزى : « ولد جدّى ببغداد بدرب حبيب ، من نهر الْمُعَلَّى [1] فى سنة خمس وعشرين وخمس مائة تقريباً » ، ونقل ابن الجوزى عن أخيه أبى محمد : أنه ولد سنة ثمان ، وقيل : تسع .

ووجد بخطه : لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى فى سنة أربع عشرة ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . وقال فى صيد الخاطر : « فإن أبى مات ، وأنا لا أعقل » ، فعلى هذا يكون مولده سنة إحدى عشرة أو اثنتى عشرة .

## نشأته وطلبه للعلم :

كان مولده ببغداد بدرب حبيب ، فلما توفى والده ، وهو صغير كفلته أُمه وعمته ، وكان أهله تُجَّاراً فى النحاس ، ولذا كتب بعض سماعاته « عبد الرحمن الصفار [2] » . وقال ابن خلكان : « كان والده يعمل الصُّفر

---

(١) نهر المعلى ، ويقال : هو نسبة إلى المعلى بن طريف المهدى ، ويقع فى الجانب الشرقى من بغداد ، يتفرع من نهر موسى ويمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء ، ثم يصب فى دجلة .
( انظر : تاريخ بغداد ١١٤/١ - ١١٥ والخطيب البغدادى ٩٦/١ ) .

(٢) **الصفار** : نسبة إلى الصُّفْر ، وهو النحاس .

بنهر القلايين[١] » ، فنشأ يتيماً على العفاف والصلاح ، ويبدو أن أُمه لم تلتفت إليه ولم تعتن بتربيته وتعليمه ، بل تولت ذلك عمته ، وكانت امرأة صالحة ، فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد الفضل بن ناصر [٢] الحافظ الثقة البغدادى فاعتنى به ، وَأَسْمَعَهُ الحديث .

وقيل : إن أول سماعه كان سنة ٥١٦ هـ وحفظ القرآن وجوَّد حفظه . يقول عن نفسه : « أذكر نفسي ولى همَّة عالية وأنا فى المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار ، رُزِقْتُ عقلًا وافراً فى الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أنى لعبت فى طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً ، حتى أنى أذكر : كنت ولى سبع سنين أو نحوها أحضر رَحْبَة الجامع ، فلا أتخير حلقة مُشَعْبِذٍ ، بل أطلب المُحَدِّثَ ، فيتحدَّثُ بالسِّيَرِ فأحفظُ جميع ما أسمعه ، وأذهب إلى البيت فأكتبه » .

ويتحدث عن شيخه الفضل بن ناصر : « ... وكان يحملنى إلى الشيوخ ، فأسمعنى المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يُرَاد مِنِّى ، وَضَبَطَ لى مسموعاتى إلى أن بَلَغْت ، فناولنى ثبتها ، ولازمته إلى أن توفى إلى رحمة الله ، فنلت به معرفة الحديث والنقل ... » .

وقال : « ولما رأيت من أصحابى من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخى ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً » ، ثم ذكر فى هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً[٣] .

ثم صحب أبا الحسن بن الزاغونى ولازمه وعلَق عنه الفقه والوعظ ،

---

(١) وهو من أنهار الكرخ .

(٢) ذكر ابن العماد الحنبلى بأن أبا الفضل هذا هو خال ابن الجوزى .
( انظر : شذرات الذهب ٣٣٠/٤ ) .

(٣) فى كتاب جمع فيه أسماء شيوخه ، وذكر فيه عن كل شيخ منهم حديثاً .

وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ثم يعظ فيها بعد الصلاة ويوم السبت أيضاً ، وتوفى ابن الزاغونى حين بلغ ابن الجوزى سن الحلم ، فطلب ابن الجوزى خلفته ، فلم يعط ذلك لصغره وأعطيت الخلافة [١] لأبى على الرذانى ، وأُذِنَ لابن الجوزى بالوعظ فى جامع المنصور ، فحضر مجلسه فى أول يوم جماعة من أصحابه الكبار الفقهاء : منهم عبد الواحد بن شعيب ، وأبو على بن القاضى ، وأبو بكر بن عيسى ، ثم تكلم فى مسجد معروف [٢] وفى باب البصرة ونهر المعلى ، فاتصلت المجالس واشتد الزحام ، وانقطعت مجالس أبى على الرذانى .

وقرأ الفقه والجدل والأُصول على أبى بكر الدِّيْنَوَرِىّ والقاضى أبى يعلى وغيرهما ، فقال : « ولم أقنع بِفَنٍّ واحد ، بل كنت أسمع الفقه والحديث ، وأتبع الزهّاد ، ثم قرأت اللغة ، ولم أترك أحداً مِمَّن يروى ويعظ ، ولا غريباً يقدم ، إلَّا وأحضره وأَتَخَيَّر الفضائل ، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث ، فينقطع نَفَسى من الْعَدْوِ لئلا أُسْبَق ، وكنت أُصْبِحُ وليس لى مأْكل ، وأمسى وليس لى مأْكل ، ما أَذَلَّنى الله لمخلوق قط ولو شرحت أحوالى لطال الشرح » .

وقرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى أُستاذ عصره فى العلوم العربية .

قال ابن الجوزى : « قرأت عليه كتابه ( المعرب ) وغيره من تصانيفه » .

وكانت له كَلفة وحبٌّ للعلم ، ولذة لتحصيله لها لا تفوقها أى لذة وكان ينفق فى سبيل العلم كل ما يملك ولم يبخل على علمه بشىء فيقول فى كتابه « لفتة الكبد » مخاطباً ابنه : « واعلم يا بنى أن أبى كان موسراً ، وخلَّف أُلوفاً من المال ، فلما بَلَغْتُ دفعوا لى عشرين دينارًا ودارين ، وقالوا لى : هذه التَّرِكَةُ كلُّها ، فأخذت الدَّنَانير واشتريت بها كتباً من كتب

---

(١) أى يحل محله فى وظائفه .

(٢) هو معروف الكرخى ، ومسجده فى محلة الكرخ غربى دجلة فى بغداد .

العلم ، وبِعْتُ الدَّارين ، وأنفقت ثمنها فى طلب العلم ، ولم يبق لى شىء من المال » .

وقال : « كنت فى زمن الصِّبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى [1] ، فلا أقدر على أكلها إلَّا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همّتى لا ترى إلَّا لَذَّة تحصيل العلم ، فأَثْمَرَ ذلك عندى أنى عُرِفْتُ بكثرة سماعى لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم » .

## أولاده :

قال ابن الجوزى ، فى مُقَدِّمة كتابه ( لفتة الكبد ) : « سألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد ، فرزقنيهم فكانوا خمسةً ذكوراً ، وخمس إناثٍ ، فمات من الإناث اثنتان ، ومن الذكور أربعة ، فلم يبق من الذكور سوى ولدى أبى القاسم ، فسألت الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلغ به المنى والمناجح » .

وقال أبو المظفر سبطه : « وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة : عبد العزيز ، وهو أول أولاده ، وأبو القاسم على ، وأبو محمد يوسف » .

وقال : « وكان لجدِّى عدَّة بنات ، منهن والدتى رابعة ، وشرف النساء ، وزينب ، وجوهرة ، وست العلماء الكبرى ، وست العلماء الصغرى » .

ومن هذين الخبرين نقول : لعل ابن الجوزى رحمه الله ألَّف كتابه « لفتة الكبد » قبل مولد ابنه يوسف . أما أولاده الذين عاشوا دهراً من الزمن ، **فأكبرهم** هو أبو بكر عبد العزيز ، ومات شابًّا ، بالموصل سنة ٥٥٤ هـ فى حياة والده ، وقد عَدَّه والده من الأموات فى الخبر السابق ، وكان قد تفقَّه على مذهب الإمام أحمد ، وسافر إلى الموصل ، ووعظ فيها ، وحصل له القبول التام .

---

(١) نسبة إلى عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، ويقع فى الجانب الغربى ويصب فى دجلة . ( انظر : تاريخ بغداد ٩٢/١ ، ١١١ ) .

**وثانيهم** : بدر الدين أبو القاسم على ، ويبدو أن العلاقة بينه وبين أبيه لم تكن على ما يرام ، فقد أجمع المؤرخون أنه قد تَسَلَّط على كتب أبيه فى غيبته فى واسط فباعها بأبخس ثمن ، وفى كتاب « لفتة الكبد » يُعَرِّضُ ابن الجوزى بأبى القاسم كثيراً ، ويشكو من سلوكه ، ويحثه على عدم اليأس ، لأنه قد انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل ، ثم يضرب أمثلة على ذلك .

وتوفى أبو القاسم سنة ثلاثين وست مائة ، وله ثمانون سنة ، وكانت زوجته ابنة الوزير يحيى بن هبيرة ، صديق والده .

**وابنـه الثالث** : هو محيى الدين أبو محمد يوسف ، فقد كان أنجب أولاده وأصغرهم ، ولد سنة ٥٨٠ هـ ووعظ بعد أبيه ، ثم باشر حسبة بغداد وتدريس مذهب الحنابلة بالمستنصرية ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، وكان على صغر سِنِّه له دور فى خلاص أبيه من المِحْنَةِ ، وقد ابتنى المدرسة الجوزية سنة ٦٥٢ هـ فى دمشق ثم صار أُستاذ دار المستعصم ، واستمر إلى أن قتله التَّتَار سنة ٦٥٦ هـ .

**أما بناته ، فمنهن رابعة فهى والدة أبو المظفر** يقول عنها : هذه رابعة والدتى تزوجها أبو الفتح بن رشيد الطبرى ، وهو أوَّل أزواجها ، ولم يطل عمره معها ، ثم زَوَّجها جدِّى بوالدى بعد موت ابن رشيد ... سَمِعَتْ الحديث على ابن البطى ، وثابت بن بندار ، ومعظم مشايخ جدِّى . **أما سائر بناته** فنعلم أن إحداهن تزوجت عبد الوهاب بن العيبى ، **أما بناته الأُخر** فلا نعلم عنهن شيئاً إلَّا خبر أبى المظفر سبطه .

## صـفاته وأخـلاقه :

أكثر ابن الجوزى الكلام عن نفسه فى مؤلفه « صيد الخاطر » فذكر فيه : أنه نشأ فى النعيم ، ورُبِّى على الدلال ، وأنه قد حُبِّب إليه العلم فى زمن الطفولة ، ولم يرغب فى فن واحد من فنونه ، بل رغب فى كل فَنٍّ ، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة ، وبين العلم والبحث ، وأَنَّ من لِذَاته

وأصحابه من أنفق عمره فى اكتساب الدنيا ، ثم لم يَنَلْ منها ما ناله هو ، وأَنَّ عيشه أَلْيَنُ من عَيْشهم ، وجاهه أعلى من جاههم ، وتَحَدَّث كيف أنه كان يمسى وليس له مأكل ، وإذا وجد الطعام فلا يأْكل منه إلَّا أقله وأخشنه فيقتصر على الخبز أحياناً ، بل على اليابس منه مع أن أباه كان موسراً ، إلَّا أنه أنفق ما وصل إليه من تركته على شراء الكتب .

**وقال عنه ابن العماد** : وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه ، وما يفيد عقله قوة ، وذهنه حدّة ، ولباسه الناعم الأبيض المُطَيَّب ، وله مداعبات حلوة ، وما تناول مالاً من جهة لَا يَتَيَقَّن حِلَّها ، ولا ذلّ لأحد .

**قال فى « لفتة الكبد » يخاطب ولده** : « وما ذلَّ أبوك فى طلب العلم قط ، ولا خرج يطوف فى البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا بعث رُقْعَةً إلى أحد يطلب منه شيئاً » .

**وقال ابن كثير** : وكان فيه بهاء وَتَرَفُّع وإعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من مقامها وذلك ظاهر فى كلامه ونثره ونظمه ، ثم أورد له شعراً منه قوله :

لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً    وسألته : هل زار مثلى ؟ قال : لا .

**قال ابن رجب** : مِمَّا عيب عليه ما يوجد فى كلامه من الثناء على نفسه والتَّرَفُّع والتعاظم ، وَكَثْرَةُ الدَّعاوى ، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف ، ــ سامحه الله ــ .

**وكان يَتَّصِفُ بقوة البديهة** ، وحضور الذهن والأجوبة النادرة ، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية ، ومن أَنْدَرِ أجوبته أنه وقع النزاع على عهده فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى ، بين أهل السنة والشيعة ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا له رجلًا وسط المجلس فسأله عن ذلك ، فقال على الفور : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك . فقال السُّنِّيَّة : هو أبو بكر رضى الله عنه ؛ لأن ابنته عائشة رضى الله عنها تحت رسول الله ﷺ ، وقالت الشيعة : هو على رضى الله عنه ؛ لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته .

**قال ابن خلكان** : وهذه من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر .

وكان في غاية الحسن فضلًا عن البديهة ، ومن أجوبته أن رَجُلًا سأله : أيهما أفضل ، أُسَبِّحُ أو أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور .

## مـذهبـه :

**كان محارباً للبدع** : فقال ابن الجوزى : « وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون فى المذاهب فأعاننى الله سبحانه عليهم ، وكانت كلمتنا هى العليا » .

وكان ابن الجوزى رحمه الله يظهر فى مجالسه مدح السُّنَّة والإمام أحمد وأصحابه ويذم من يخالفهم ، ويُصَرِّحُ بمذاهبهم فى الأُصول حتى قيل له مَرَّة : قَلِّلْ من ذِكْر أهل البدع مخافة الفتن فأنشد :

أَتُوبُ إليك يَا رحمٰن مِمَّا جَنيت فقد تعاظمت الذُّنوب
وأمَّا من هوى ليلى وَحُبِّى زيارتها فإنِّى لا أَتُوب

**وقال له قائل** : ما فيك عيب إلَّا أنَّك حنبلى ، فأنشد :

وعيّرنى الواشون أنى أُحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال : أهذا عيبى ؟! ولا عيب فى وجه نقط صحنه بالخال .

## علاقته بالخلفاء وولاة الأُمور :

ليس بين أيدينا ما يبين لنا علاقة ابن الجوزى بالخلفاء إلَّا ثلاثة منهم وهم : « المستنجد ، والمستضىء ، والناصر » .

١ - **مع المستنجد** : ذكر فى المنتظم : أن المستنجد عندما ولى الخلافة خَلَعَ عليه ، وأذن له فى الجلوس فى جامع القصر للوعظ ، فكان يحرز جمع مجلسه على الدوام بعشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً .

٢ - **المستضىء** : كان المستضىء معجباً بابن الجوزى إعجاباً كثيراً ، وكان يحضر دروسه ، ويستمع إلى مواعظه ونصائحه ويكرمه .

قال بعض خدم الخليفة لابن الجوزى يعبر عن مدى حُبِّ الخليفة له : «إن الخليفة حضر يوماً المجلس متحاملاً لمرض حصل له ، ولولا شِدَّة محبتك لما حضر ، لما كان اعتراه من الألم » .

وألَّف ابن الجوزى كتاباً فى تاريخ دولة المستضىء سَمَّاه : « المصباح المضىء فى دولة المستضىء » ، وكتاباً آخر سَمَّاه : « النصر على مصر » .

٣ - **النَّاصر** : كان الناصر كسابقيه يحضر بعض دروس ابن الجوزى فى باب بدر فى ساحة قصور الخلفاء ، ولكن العلاقة بينهما لم تكن جَدُّ طَيِّبَة ولما وُشِيَ بابن الجوزى إلى الخليفة ، أَمَرَ بحبس ابن الجوزى فى واسط ولم يفرج عنه إلَّا بعد خمس سنوات بشفاعة أُم الخليفة زمرد خاتون وجهود ابنه محيى الدين يوسف ، فقد كانت أُم الخليفة تناصره وتؤيده .

## وعظــه :

ابن الجوزى مُتَفَرِّدٌ بفن الوعظ الذى لم يسبقه إليه مثله ولا يلحق شأوه فيه من بعده ، فى طريقته وشكله ، وفى فصاحته وبلاغته ، وعذوبته وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعانى البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأُمور الحِسِّيَّة بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك فكان يجمع الكثير من المعانى فى القليل من الألفاظ . وكانت له مسالك فى ألفاظه إلى القلوب .

ابتدأ ابن الجوزى الوعظ صغيراً فى حدود عشرين سنة ، وكان يحضر مجالسه الخلفاء والأُمراء والوزراء والعلماء والأعيان وسائر الناس ، وأقل ما كان يجتمع فى مجلس وعظه عشرة آلاف ، ويحكى ابن جبير فى رحلته ، وطبقات الحنابلة ٤٠٥/١ : أن أبواب المكان الذى يلقى فيه وعظه

كانت تغلق بعد الظهر يوم المجلس لِشِدَّةِ الزِّحام ، فإذا جاء ابن الجوزى مع العصر فُتِحَ له ، وزاحم معه من يمكنه أن يُزَاحِم .

وكان لهذه المجالس الوعظية ثمرة عظيمة فيقول فى آخر كتاب « القصاص » : مازلت أعظ الناس وأُحَرِّضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدى إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدى أكثر من مائة ألف .

ومن خلال ترجماته التى ذكرها المؤرخون تَعرَّفنا على عدد من المجالس التى كان يعظ فيها منها :

١ - مجلس بإزاء الشط بالجانب الشرقى وهو متصل بآخره بقصور الخليفة وكان يجلس فيه كل يوم سبت .

٢ - مجلس جامع قصر الرَّصَّافة .

٣ - مجلس باب بدر ، وقد خُصَّ ابن الجوزى بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة الناصر ووالدته ومن حضر الحرم .

٤ - مجلس جامع المنصور : وكان يجلس فيه يوماً أو يومين فى السنة فتغلق المحال ويحزر الجمع بمائة ألف .

٥ - مجلس درب دينار ، وفيه مدرسة موقوفة عليه .

٦ - مجلس باب الأزج ، وفيه مدرسة مفوض أمرها له .

٧ - مجلس تربة أُم الخليفة .

٨ - مجلس فى دار الوزير ابن هبيرة ، وكان يعقد فى كل يوم جمعة .

٩ - مجلس صاحب المخزن .

١٠ - ومجالس أُخرى متفرقة ذكر جانباً منها فى الجزء العاشر من كتاب « المنتظم » .

ومنزلته فى الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد ، ولقد أُوتى قوة العارضة

وحسن التصرف فى فنون القول ، وشدة التأثير فى الناس ما لم يؤت الكثيرون .

**قال ابن رجب** : قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلى الواعظ فى حق الشيخ أبى الفرج ، اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع فى غيره ، وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظُرَّاف بغداد ونظاف الناس ، وحسن الكلمات المسجعة ، والمعانى المودعة فى الألفاظ الرائجة ، وقراءة القرآن بالأصوات المُرَجَّعَة ، والنغمات المطربة ، وصيحات الواجدين ، ودمعات الخاشعين ، وإنابة النادمين ، وذل التائبين ...

## ابن الجَوزِىّ والصُّوفِيَّة

هذا الكتاب لابن الجوزى فى المواعظ والزهد فى الدنيا ويحض على الأعمال الصالحة ، وربما وقعت فيه بعض الأحاديث الضعيفة والحكايات الغريبة ، وقد يكون فى بعضها مبالغات ، وربما كان ذلك لحض النفس وحثها على الاقتراب من نقطة الكمال فى الأعمال والأخلاق ، وإن فعل ابن الجوزى ذلك واحتج بأقوال كثيرين من أئمة التصوف ، إلَّا أنَّه انتقد أفعال الصوفية ففى كتاب « تلبيس إبليس » الذائع الصيت ، الذى ينتقد فيه نهج الصوفية ويأخذ عليهم فيه مآخذ يقول : إنها من تلبيس إبليس عليهم ، ويقول : ربما كان التصوف نتاجاً أفرزه الزهد الإسلامى عند الأوائل ، إلَّا أن صوفية هذا الزمن قد انحرفوا عن السُّنَّةِ ، وابن الجوزى من رأيه أن اسم الصوفية من الأسماء العربية الصميمة وليس اسماً دخيلًا ، ويرجعه إلى خدم الكعبة الذين انقطعوا للخدمة فيها ، وكان الواحد منهم يسمى صوفة وصوفان ، أو أن صوفة هذا هو الغوث بن مر ، ولم تكن أُمه يعيش لها أولاد ، فنذرت إن عاش ابنها هذا أن تهبه لخدمة الكعبة وتقطعه عليها وتميزه بأن تجعل فى رأسه صوفة إشارة إلى أنه ربيط الكعبة ، ومن ثم فقد انتسب

الصوفية إلى صوفة هذا لمشابهتهم إيَّاه فى الانقطاع إلى الله . وربما كانت نسبة الصوفى إلى الصوفانة وهى بقلة من بقول الصحراء يتعيش عليها كطعام المنقطعين لعبادة الله فى الصحارى والفيافى ، فنسبوا إليها ؛ وربما كان انتسابهم لصوفة القفا ، أى شعراته المدلاة التى يطلقها القوم نسياناً لأنفسهم فى التعبد ، وعلى أى الأحوال فإن التصوف كان رياضة نفس ومجاهدة فنبع عند الشيوخ الأوائل ، إلَّا أن ذلك الوقت قد مضى وجاء قوم من الأدعياء فَلَبَّس إبليس عليهم وَصَدَّهم عن العلم وأراهم أن المقصود بالعبادة هو العمل ، فبها أطفأ نور العلم عندهم وتخبطوا فى الظلمات ، فمنهم من أراه أن التصوف هو ترك الدنيا بالجملة ، فرفضوا الكسب ، وركنوا إلى البطالة ، وأهملوا ما يُصْلِحُ أبدانهم ، وشبّهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح ، وبالغوا الحمل على أنفسهم حتى كان الواحد ما يذوق الطعام بالأيام فيفسد بذلك تفكيره ، ويتخلَّط ذهنه ، ويتوهم أشياء كأن تكلمه الملائكة أو يشاهد الله ، وتنتابه الوساوس والخطرات من شدة الجوع ووطأة الفقر وقلة النوم ، وقد صنَّف الحارث المحاسبى التصانيف فى ذلك باعتبارها من الفضائل . وأفرد آخرون التصوف بصفات مَيَّزُوه بها من اختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق ، وقال بعضهم : بالحلول والاتحاد ، وادَّعوا العشق الإلهى ، ونسوا أن العشق فى اللغة يقال للمنكوح ، والله يُحب ويُحَب ، ولكنه لا يَعْشَق ولا يُعْشَق ، وترتب على هذا التَّرَخُّص فى القول ادّعاء البعض النبوة ثم الربوبية حتى قيل : إن الحلاج أرسل فى إحدى المرات كتاباً إلى أحدهم قال فيه : من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان ، وفسَّر هذا التبجح منه بأن تلك طريقة الصوفية فيما يسمى عين الجمع ، فالله على الحقيقة هو الذى يكتب ويملى ، وليست اليد التى تخط إلَّا مجرد آلة . وأطلق الصوفية على هذا العلم عندهم اسم علم الباطن ، بينما الفقه هو علم الظاهر ، وبلغ من تلبيس إبليس عليهم أن عَادَوْا الفقهاء وَدَفَنُوا كُتُبَ الفقه أو أغرقوها فى الماء ، ثم جاءت أقوام أُخرى من المتصوفة زاد من تلبيس إبليس عليهم ، أنهم تشبهاً بأسلافهم لبسوا المراقع مثلهم ،

ولكنهم لفقوها من فاخر الثياب ، وانتحلوا للمراقع نسباً يصلهم بالصحابة وآل البيت ، وبعد أن كانت حياة السابقين قوامها الجوع والفقر والزهد ، فإن هؤلاء استغرقتهم النعم ، وعرفوا الطريق إلى الأمراء والحكام وأقبلوا على لذات الطعام والشراب ، ومصادقة الولدان ومرافقة النسوان ، وادّعوا أن الله يحل فى الصورة الحسنة والجسم الجميل من الأولاد المُرْد ، واقتحمت جماعة منهم يقال لهم الملامتية الذنوب بدعوى أن يسقطوا فى أعين الناس فيسلموا بذلك من العُجْب بالنفس ، وأظهروا من أنفسهم أقبح الصفات ، ومنهم أيضاً إباحية المتصوفة ، وهؤلاء ادَّعوا أنهم لـمَّا زهدوا وراضوا أنفسهم ، وصلوا فسقطت عنهم التكاليف والعبادات ، أو أنه طالما أن المكتوب فى القدر واقع ؛ فلا ملامة عليهم فيما يصدر عنهم ، أو أن الأمور تستوى فى المعصية والطاعة طالما أن الله مُسْتَغْنٍ عن الأعمال ولا يتأثر به ، وأن رحمته وسعت الجميع فلا وجه للحرمان والمعاناة والتعب ، ومن ثم ذهبوا إلى تأويل الأحاديث والقرآن ، وقالوا : الأوامر والنواهى رسوم العامة ، وأما هم فقد تجوهروا لـمَّا وصلوا ، ولو تجوهر العامة لسقطت عنهم تلك الأوامر والنواهى ، ومن بالغ منهم فى الرياضة وفتح الله عليه بالكلمات اللطيفة أو رأى الرؤى التى تثمرها الخلوة والتفكير ادَّعى الكرامات وكانت لهم شطحات ، مثلما قال البسطامى : إن النار إذا رأته تخمد فيكون ظهوره عليها رحمة للخلق ، أو أنه فى الآخرة سيسأل الله أن يدخله النار ليعلم الخلائق أن برَّ الله ولطفه فى النار مع أوليائه !... وذلك وغيره كله من أقبح الأقوال والأفعال ، ويتضمن تحقير ما عظمه الله وحضّ عليه وكان سنة النبى ﷺ والسلف الصالح [1] .

* * *

(١) انظر : الموسوعة الصوفية ، د. عبد المنعم الحفنى ص ١١٠ - ١١٢ - ط دار الرشاد سنة ١٩٩٢ هـ .

# آثارُهُ العِلمِيَّة

كان ابن الجوزى ــ رحمه الله ــ أُعجوبة فى التَّصنيف والتأليف .

**قال ابن خلكان** : إن كتبه أكثر من أن تُعَدَّ .

**وقال الذهبى** : ما علمت أحداً من العلماء صَنَّفَ ما صَنَّفَ هذا الرجل ويرى بعض الباحثين والمؤرخين ، إن كثرة مؤلفات ابن الجوزى بها مغالاة من الناس ، ولكن من انتبه إلى سيرته العلمية يجد أن الرجل كان يمضى كل وقته فى التأليف والوعظ والتدريس ، ولا يضيع من عمره شيئاً ، وذلك أنه عاش قرابة تسعين عاماً ، ومثل هذا العمر والحرص على الوقت جديران بهذه الكثرة من المؤلفات .

**ويقولون** : إنه جمعت الكراريس التى كتبها ، وحسبت مُدَّة حياته ، وقسمت الكراريس على المُدَّة ، فكان ما خَصَّ كل يوم تسع كراريس ، وهذا شىء عظيم لا يكاد يقبله عقل .

**ويقال** : إنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ ، فحصل منها على شىء كثير ، وأوصى أن يُسَخَّن بها الماء الذى يُغَسَّلُ به بعد موته . فَفُعِلَ ذلك ، فَكَفَتْ وفضل منها .

وقد ابتدأ التأليف فى سِنٍّ مبكرة منذ الثالثة عشرة من عمره (١) .

**ونضرب مثالاً لحرصه على الوقت أن يضيع بغير فائدة** ، فقال : « رأيت خَلْقًا كثيرين يجرون معى فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، فلما رأيت الزمان أشرف شىء كرهت ذلك ، وبقيت معهم بين أمرين :

إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت أدافع اللقاء جهدى ، فإذا غُلبت قصَّرت فى الكلام

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٦/١ .

لأتعجَّل الفراق ، ثم أعددت أعمالًا لأوقات لقائهم ، لئلَّا يمضى الزمان فارغاً ، فجعلت من المُسْتَعَدِّ للقائهم قطع الكاغد ( الورق ) وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لابد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلَّا يضيع شىء من وقتى » ؟!!

## فإذا أردنا إحصاء كتبه :

فقد سئل عن عدد مؤلفاته فقال : إنها أكثر من ثلاث مائة وأربعين مصنفاً منها ما هو عشرين مجلداً ومنها ما هو كُرَّاس واحد .

وقد أحصى الأُستاذ عبد الحميد العجلونى فى كتابه « مؤلفات ابن الجوزى »[1] كتابين وأربعمائة ورتبها على حروف المعجم . وبيَّن المطبوع منها والمخطوط والمفقود « نشرته وزارة الثقافة بالعراق » وسرد ( جمعه الخولى ) فى رسالته للدكتوراه بكلية أُصول الدين « ابن الجوزى الواعظ ومنهجه فى الدعوة إلى الله » مؤلفاته وبين المطبوع منها والمخطوط والمفقود .

ونذكر بعض مؤلفاته لندلل على كثرتها وتنوعها :

## من مصنفاته فى القرآن وعلومه :

١ - « المغنى فى التفسير » ٨١ جزءا.

٢ - « زاد المسير فى علم التفسير » أربع مجلدات .

٣ - « تيسير البيان فى تفسير القرآن » مجلد .

٤ - « تذكرة الأريب فى تفسير الغريب » مجلد .

٥ - « غريب الغريب » جزء ٦ .

٦ - « نزهة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر » مجلد .

---

(١) وطبع طبعة أحدث : وصل إحصاء كتبه فيها إلى ٥٧٤ كتاب .
طبع جمعية إحياء التراث الإسلامى « الفهارس والببليوغرافية » منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ، « الفهارس والببليوغرافية » الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م فى ٣٢٩ صفحة .

٧ - « الوجوه النواضر فى الوجوه والنظائر » مجلد .

٨ - « الإشارة إلى القراءة المختارة » ٤ أجزاء .

٩ - « تذكرة المنتبه فى عيون المشتبه » جزء .

١٠ - « فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن » مجلد .

١١ - « ورد الأغصان فى فنون الأفنان » جزء .

١٢ - « عمدة الراسخ فى معرفة المنسوخ والناسخ » ٥ أجزاء .

١٣ - « المصفى بأكف أهل الرسوخ فى علم الناسخ والمنسوخ » جزء .

## من مصنفاته فى أُصول الدين :

١٤ - « منتقد المعتقد » جزء .

١٥ - « منهاج الوصول إلى علم الوصول » ٥ أجزاء .

١٦ - « بيان غفلة القائل بقِدم أفعال العباد » جزء .

١٧ - « غوامض الإلهيات » جزء . ١٨ - « مسلك العقل » جزء .

١٩ - « منهاج أهل الإصابة » . ٢٠ - « السر المصون » مجلد .

٢١ - « دفع شبه التشبيه » ٤ أجزاء .

٢٢ - « الرد على المتعصب العنيد » .

## من مصنفاته فى الحديث والزهديات :

٢٣ - « جامع المسانيد بألخص الأسانيد » .

٢٤ - « الحدائق » ٣٤ جزءا.

٢٥ - « نفى النقل » ٥ أجزاء . ٢٦ - « المجتبى » مجلد .

٢٧ - « النزهة » جزآن . ٢٨ - « عيون الحكايات » مجلد .

٢٩ - « ملتقط الحكايات » ١٣ جزءًا .

٣٠ - « إرشاد المريدين فى حكايات السلف الصالحين » مجلد .

٣١ - « روضة الناقل » جزء .   ٣٢ - « غرر الأثر » ٣٠ جزءًا .

٣٣ - « التحقيق فى أحاديث التعليق » مجلدان .

٣٤ - « المديح » ٧ أجزاء .   ٣٥ - « اليواقيت فى الخطب » مجلد .

٣٦ - المنظوم والمنثور فى مجالس الصدور ( خ ) فى خزانة الرباط ( ٩٠ ) و ( ١٢٢ ) أوقاف وهو ٧٧ مجلساً .

٣٧ - بحر الدموع ( فى الوعظ ) .

٣٨ - « الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » مجلدان .

٣٩ - « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » مجلدان .

٤٠ - « الكشف لمشكل الصحيحين » أربع مجلدات .

٤١ - « الضعفاء والمتروكين » مجلد .

٤٢ - « إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه » مجلد .

٤٣ - « إخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » جزء .

٤٤ - « السهم المصيب » جزآن .   ٤٥ - « أخاير الذخائر » ٣ أجزاء .

٤٦ - « الفوائد عن الشيوخ » ٦٠ جزءا.

٤٧ - « مناقب أصحاب الحديث » مجلد .

٤٨ - « موت الخضر » مجلد .   ٤٩ - « مختصرة » جزء .

٥٠ - « المشيخة » جزء .   ٥١ - « المسلسلات » جزء .

٥٢ - « المحتسب فى النسب » مجلد .

٥٣ - « تحفة الطلاب » ٣ أجزاء .

٥٤ - « تنوير مدلهم الشرف » جزء .   ٥٥ - « الألقاب » جزء .

٥٦ - « فضائل عمر بن الخطاب » مجلد .

٥٧ - « فضائل عمر بن عبد العزيز » مجلد .

٥٨ - « فضائل سعيد بن المسيب » مجلد .

٥٩ - « فضائل الحسن البصرى » مجلد .

٦٠ - « مناقب الفضيل بن عياض » أربع أجزاء .

٦١ - « مناقب بشر الحافى » سبعة أجزاء .

٦٢ - « مناقب إبراهيم بن أدهم » ستة أجزاء .

٦٣ - « مناقب سفيان الثورى » مجلد .

٦٤ - « مناقب أحمد بن حنبل » مجلد .

٦٥ - « مناقب معروف الكرخى » جزآن .

٦٦ - « مناقب رابعة العدوية » جزء .

٦٧ - « مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن » مجلد .

٦٨ - « صفة الصفوة » ٥ مجلدات .

٦٩ - « منهاج القاصدين » أربع مجلدات .

٧٠ - « المختار من أخبار المختار » مجلد .

٧١ - « القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج » جزء .

٧٢ - « عجالة المنتظر لشرح حال الخضر » جزء .

٧٣ - « النساء وما يتعلق بآدابهن » مجلد .

٧٤ - « علم الحديث المنقول فى أن أبا بكر أَمَّ الرسول ﷺ » جزء .

٧٥ - « الجوهر » .　　　٧٦ - « المغلق » .

## من مصنفاته فى التاريخ :

٧٧ - « تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التواريخ والسير » مجلد .

٧٨ - « المنتظم فى تاريخ الملوك والأُمم » ١٠ مجلدات .

٧٩ - « شذور العقود فى تاريخ المعهود » مجلد .

٨٠ - « طرائف الظرائف فى تاريخ السوالف » جزء .

٨١ - « مناقب بغداد » مجلد .

## من مصنفاته فى الفقه :

٨٢ - « الإنصاف فى مسائل الخلاف » .

٨٣ - « جُنَّة النظر وجنة النظر » وهى التعليقة الوسطى .

٨٤ - « معتصر المختصر فى مسائل النظر » .

٨٥ - « عمد الدلائل فى مشتهر المسائل » وهى التعليقة الصغرى .

٨٦ - « المذهب فى المذهب » . ٨٧ - « مسبوك الذهب » مجلد .

٨٨ - « النبذة » جزء . ٨٩ - « العبادات الخمس » جزء .

٩٠ - « أسباب الهداية لأرباب البداية » مجلد .

٩١ - « كشف الظلمة عن الضياء فى رد دعوى » .

٩٢ - « رد اللوم والضيم فى صوم يوم الغيم » جزء .

## من مصنفاته فى علوم الوعظ :

٩٣ - « الياقوتة فى الوعظ » وهو هذا الكتاب الذى بين أيدينا .

٩٤ - « المنتخب فى النواب » مجلد .

٩٥ - « منتخب المنتخب » مجلد .

٩٦ - « نسيم الرياض » مجلد . ٩٧ - « اللؤلؤ » مجلد .

٩٨ - « كنز المذكر » مجلد . ٩٩ - « الأزج » مجلد .

١٠٠ - « اللطائف » مجلد . ١٠١ - « كنوز الرموز » مجلد .

١٠٢ - « المقتبس » مجلد . ١٠٣ - « موافق المرافق » مجلد .

١٠٤ - « شاهد ومشهود » مجلد .

١٠٥ - « واسطات العقود من شاهد ومشهود » مجلد .
١٠٦ - « اللهب » جزآن . ١٠٧ - « المدهش » مجلدان .
١٠٨ - « صبا نجد » جزء . ١٠٩ - « محادثة العقل » .
١١٠ - « لقط الجمان » جزء . ١١١ - « معانى المعانى » جزء .
١١٢ - « فتوح الفتوح » جزء . ١١٣ - « التعازى الملوكية » جزء .
١١٤ - « العقد المقيم » جزء .
١١٥ - « إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات » جزآن .
١١٦ - « نكت المجالس البدرية » جزآن .
١١٧ - « نزهة الأديب » جزآن . ١١٨ - « منتهى المنتهى » جزآن .
١١٩ - « تبصرة المبتدى » ٢٠ جزءا.
١٢٠ - المنهل العذب ، أو الوارد العذاب فى الوعظ .
١٢١ - « تحفة الوعاظ » مجلد .

**مصنفاته فى فنون مختلفة :**

١٢٢ - « ذم الهوى » مجلدن . ١٢٣ - « صيد الخاطر » ٦٥ جزء .
١٢٤ - « أحكام الأشعار بأحكام الإشعار » عشرون جزء .
١٢٥ - « القصاص والمذكرين » . ١٢٦ - « تقويم اللسان » مجلد .
١٢٧ - « الأذكياء » مجلد .
١٢٨ - « أخبار الحمقى والمغفلين » مجلد .
١٢٩ - « تلبيس إبليس » مجلدان .
١٣٠ - « لقط المنافع » فى الطب مجلدان .
١٣١ - « الشيب والخضاب » مجلد .
١٣٢ - « أعمار الأعيان » جزء .

١٣٣ - « الثبات عند الممات » جزآن .
١٣٤ - « تنوير الغبش فى فضل السود والحبش » مجلد .
١٣٥ - « الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ » جزء .
١٣٦ - « أشراف الموالى » جزآن .
١٣٧ - « إعلام الأحياء بأغلاط الأحياء » .
١٣٨ - « تحريم المحل المكروه » جزء .
١٣٩ - « المصباح لدعوة الإمام المستضىء » مجلد .
١٤٠ - « عطف العلماء على الأُمراء والأُمراء على العلماء » جزء .
١٤١ - « النصر على مصر » جزء . ١٤٢ - « المجد العضدى » مجلد .
١٤٣ - « الفجر النورى » مجلد .
١٤٤ - « مناقب الستر الرفيع » جزء .
١٤٥ - « ما قلته من الأشعار » جزء . ١٤٦ - « المقامات » مجلد .
١٤٧ - « من رسائلى » جزء .
١٤٨ - « الطب الروحانى » جزء .
١٤٩ - « بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب » ١٦ جزءا.
١٥٠ - « الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب » .
١٥١ - « الوفا بفضائل المصطفى ﷺ » مجلدان .
١٥٢ - « النور فى فضائل الأيَّام والشهور » مجلد .
١٥٣ - « تقريب الطريق الأبعد فى فضائل مقبرة أحمد » .
١٥٤ - « مناقب الإمام الشافعى » . ١٥٥ - « العزلة » .
١٥٦ - « الرياضة » .
١٥٧ - « منهاج الإصابة فى محبة الصحابة » .

١٥٨ - « فنون الألباب » .        ١٥٩ - « الظرفاء والمتحابين » .
١٦٠ - « مناقب أبى بكر » .    ١٦١ - « مناقب على » مجلد .
١٦٢ - « فضائل العرب » مجلد .
١٦٣ - « درة الإكليل فى التاريخ » أربع مجلدات .
١٦٤ - « الأمثال » مجلد .
١٦٥ - « المنفعة فى المذاهب الأربعة » مجلدان .
١٦٦ - « المختار من الأشعار » عشر مجلدات .
١٦٧ - « رءوس القوارير » مجلدان .
١٦٨ - « المرتجل فى الوعظ » مجلد كبير .
١٦٩ - « ذخيرة الواعظ » أجزاء . ١٧٠ - « الزجر المخوف » .
١٧١ - « الأنس والمحبة » .        ١٧٢ - « المطرب الملهب » .
١٧٣ - « الزند الورى فى الوعظ الناصرى » جزآن .
١٧٤ - « الفاخر فى أيّام الإمام الناصر » مجلد .
١٧٥ - « المجد الصلاحى » مجلد .  ١٧٦ - « لغة الفقه » جزآن .
١٧٧ - « غريب الحديث » مجلد .
١٧٨ - « ملح الأحاديث » جزآن .
١٧٩ - « الفصول الوعظية على حروف المعجم » .
١٨٠ - « سلوة الأحزان » عشر مجلدات .
١٨١ - « المعشوق فى الوعظ » .
١٨٢ - « المجالس اليوسفية فى الوعظ » .
١٨٣ - « الوعظ المقبرى » .   ١٨٤ - « قيام الليل » ٣ أجزاء .
١٨٥ - « المحادثة » .         ١٨٦ - « المناجاة » .
١٨٧ - « زاهر الجواهر فى الوعظ » أربع أجزاء .

١٨٨ - « كنز المذكر » .   ١٨٩ - « النحاة الخواتيم » جزآن .

١٩٠ - « المرتقى لمن اتقى » .

١٩١ - « زين القصص » مجلد .

١٩٢ - « لفتة الكبد فى نصيحة الولد » .

١٩٣ - « القرامطة »[١] .

## وفـاته :

توفى رحمه الله بين العشاءين ليلة الخميس الموافقة للثانى عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن عمر يناهز التسعين عاماً .

ودفن قبيل صلاة الجمعة بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

## الأُصـول المعتمـدة للكتاب :

اعتمدت بحول الله وقوته على مصدرين لهذا الكتاب :

١ - المصدر الأول لهذا الكتاب : « **المخطوطة الأُم** » :

عنوان المخطوطة : الياقوتة فى الوعظ .

المؤلف : عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشى التيمى البكرى ، البغدادى المعروف بابن الجوزى ، جمال الدين ، أبو الفرج ( ٥١٠ ــ ٥٩٧ هـ ) .

تاريخ النسخ : ١١١٠ هـ .

اسم الناسخ : غير معلوم .

عدد الأوراق : ١١٤ .

المقاس : ١٤ × ٢١ .

---

(١) انظر مقدمة : زاد المسير فى علم التفسير ، لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

الرقم أو القيد : أخلاق تيمور ٣٢٤ .

رقم الميكروفيلم : ٨٤٧٠ ٥٠٥٨٧

وفى مقدمتها إهداء ...

أُقدمه لخزانة سيدى المفضال سعادة أحمد تيمور باشا أطال الله بقاءه وأجزل به النفع للأُمة ، وأنا الفقير إليه تعالى / محمد راغب الطباخ الحلبى فى ٢٠ رجب سنة ١٣٤٣ هـ .

**بداية المخطوطة :**

كتاب الياقوتة فى الوعظ تصنيف الشيخ الإمام العالم الصدر الكبير أوحد العراقيين أبى الفرج على بن الجوزى قدَّس الله سره ونوَّر ضريحه وغفر لمن قرأها وتأملها .. آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الحمد لله الذى قطعت أعناق الملحدين عجائب صنعته ...

**والأصل الثانى** : مطبوع بعنوان « اليواقيت الجوزية فى المواعظ النبوية » الطبعة الأُولى : مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م ، وأشرنا إليها عند الاختلاف بالرمز « ب » ، ولكنه أصل به نقص كبير وقد أكملناه بهذه المخطوطة الكاملة التى عثرنا عليها بدار الكتب المصرية التى تعتبر ضعفه فى الحجم .

**تنويه :**

قبل إرسال الكتاب للمطبعة وقعت تحت يدى نسخة لكتاب باسم « اليواقيت الجوزية فى المواعظ النبوية » حققه وعلَّق عليه : السيد بن عبد المقصود ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية .

وهو كالأصل « ب » ، فهو نَشْرٌ للنسخة الناقصة التى كانت مطبوعة قبل ذلك ولعلَّها مأخوذة من أصل ناقص لم أقف عليه ، فلم يشر المحقق إلى

النسخة التى اعتمد عليها ، ولصغر حجم الكتاب أَتْبَعَهُ بكتاب آخر سمَّاه « اللطائف فى الوعظ » كقسم ثان للكتاب . وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً فى تخريجه لأحاديث الجزء الذى نشره من الكتاب وما عدا ذلك فلا أجد له جهداً . لذا لزم التنويه .

## عملى فى التحقيـق :

١ - كَتَبْتُ النَّصِ مِمَّا تَوَفَّر لدَىَّ من أُصول ، واعتمدت اللفظة المناسبة عند الاختلاف ، ولم أُشِرْ لذلك بالهامش إلَّا عند الضرورة ، لاحترازى من عدم إطالة التعليق بغير فائدة ، ولو تتبعت ذلك لتضاعف حجم الكتاب .

٢ - وضعت عنواناً لكل فصل من فصول الكتاب .

٣ - التعليق على ما رأيته يحتاج لتعليق .

٤ - شرح ما يحتاج إلى توضيح من الكلمات .

٥ - تخريج الآيات القرآنية .

٦ - تخريج ما استطعت تخريجه من الأحاديث والآثار المذكورة فى هذا الكتاب .

٧ - ترجمة ما استطعت التوصل إليه من الأعلام .

٨ - وضع الفهارس الفنية فى آخر الكتاب .

٩ - عمل دراسة عن المؤلف والكتاب .

والله أسأل أن يكون عملى خالصاً لوجهه الكريم إنه نِعْمَ المولى وَنِعْمَ النصير .

أحمد عبد التواب عوض

* * *


كتاب الياقوتة في الوعظ تصنيف الشيخ الامام العالم
العلامة الكبير اوحد العراقيين ابي الفرج علي بن الجوزي
قدس الله سره ونور ضريحه وغفر
لمن قراها ولنا معها امين
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الحمد لله الذي فطن
اعناق المحدثين بعجائب صنعته وخصت عقول المتفكرين من
اللطائف بحكمته وهتف في اسماع العالمين السنة ادلته شاهدة
بانه الواحد في الاهية القديم في وحدانيته وصلى الله
على اشرف بريته محمد وآله وعترته هذه فصول من المواعظ
كالانموذج للواعظ ينسج على منوالها ويحتذى في
مثالها تشتمل على اشارات لامعة وعبارات واضحة والله
المعين
الفصل الاول
اخواني لو تفكرت النفوس فيما بين يديها وتذكرت حسابها
فيما لها وعليها لبعثت حزنها يديم دمعها
طال عصيانه نهاره في المعاصي وقد طال خسرانه وليله في
الخطايا فقد خف ميزانه وبين يديه الموت الشديد
العذاب الوانه روي عن عمر قال استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستلم ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا
فالتفت فاذا هو بعمر يبكي فقال يا عمر ههنا تسكب العبرات و
قال ابو عمران الجوني بلغنا ان جبريل عليه السلام جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له يا رسول الله
ما يبكيك فقال او ما تبكي انت فقال يا محمد ما جفت لي عين
منذ خلق الله جهنم مخافة ان اعصيه فيلقيني فيها وقال
يزيد الرقاشي ان لله ملائكة حول العرش تجري اعينهم مثل
الانهار الى يوم القيامة يميدون كانما تنفضهم الريح من خشية
الله فيقول لهم الرب عز وجل يا ملائكتي ما الذي يخيفكم وانتم عندي
فيقولون يا ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك
على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا
في فرشهم ولخرجوا في الصحارى يخورون كما تخور البقر وقال
الحسن بكى آدم حين اهبط من الجنة ثلاثمائة عام حتى جرت
اودية سرنديب من دموعه فانبت الله بذلك الوادي
من دموع آدم الدارصيني والفلفل وجعل
ذلك الوادي الطواويس ثم ان جبريل عليه السلام اتاه وقال
يا آدم ارفع راسك فقد غفر الله لك فرفع راسه ثم اتى البيت
فطاف به اسبوعا فما تم حتى خاض في دموعه وقال
ابن اسباط لو عدل بكاء اهل الارض ببكاء آدم لكان بكاء آدم
اكثر شعر بكيت على الذنوب لعظم جرمي
وحق لكل من يعصي البكاء ولو ان البكا يرد همي
لاسعدت الدموع معا دماء وقال وهب بن الورد
لما عاتب الله نوحا انزل الله عليه اني اعظك ان تكون من
الجاهلين فكان يبكي ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه

الصفحة الأولى من المخطوطة

خدا رعاية بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين
وقال وكان ابوهما صالحا وكما جاء في الحديث تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في الشدة ثم ينفر طاير قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحيا
خجلا مما هم به يخرج نقيا بعد الوسخ طاهرا بعد النجس لان الاصل محفوظ
بالصدق مربوط بالايمان ولولا لطف الحق يكشف حجب الغفلة لواقع
الذنب غير انه اراه برهان الهدي فرجع واقام له هاتف التقوى فخشع
والقلوب تحن الى ما اعتادت والفت وتنازع الى ما مرت عليه وعرفت
اما سمعت قول عمر بن ابي ... بين ما يحني في ولا ذلك فالقلع سراعا
العيش يهوي هوينا خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما
اطقت مضيا قلت للشوق اذ دعاني لبيك وللحاديين ردوا
المطيا اثارهم بعدهم وما صنعوا نحن نا اثارهم تتبع يا رافقا بالديار
مكتئبا يندب قوما ما من مليكهم نزعوا ادخل الى الدار فهي خالية
من سادة في التراب قد وضعوا اذا تاملتهم كانهم ما نظروا
نظرة ولا سمعوا ولا جرى بينهم مذاكرة ولا انتفعوا ولا
نفعوا كانوا كركب حطوا رحالهم فما استراحوا حتى تهادوا
تم كتاب الياقوتة على التمام والكمال والحمد لله وحده وصلى على
سيدنا محمد واله وسلم وصلى لابن الجوزي اين من شيد
القلاع وعز الحصون واستخرج من الكنوز المال المصون اما
دارت عليه رحى المنون اما ما كل منهم في الثرى بعمله
مرهون فتيقظ ايها الغافل قبل ان تخمد حركاتك بالسكون
وتنزل اللحد المسكون ولا تركن الى الامال فيوم المال

كان قد سيكون وتنزل اللحد اعتبر بدوران الاقدار
على ذوي الاقدار ودع عنك الجنون اما سمعت ما قال
في كتابه العزيز المكنون سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
يا من اطال قطيعتي يوم اللقا متى يكون لا اخرتني
ملا ... وانوح بسر المصون حتى
تقول عواذلي ماذا هوى هذا احزن
وقع الفراغ من نسخه ... بعد الظهر يوم السبت
خامس ... يوم من جماد الاول
من شهور سنة من الهجرة
والشرف سنة عشرة وسايه
والافعال صاحبها
افضل الصلاة
والتحية
والسلام

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

# مواعظ ابن الجوزي

## المسمّى: الياقوتة

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠هـ - ٥٩٧هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَةُ المُصَنِّف

الْحَمْدُ للهِ الَّذِى قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الملحدين عجائب صَنْعَتِهِ ، وخصمت عقول المتفكرين لطائف حُجَّته ، وهتَفَت فى أسماع العالمين أَلْسِنَةُ أَدِلَّتِهِ ؛ شَاهِدَةً بأَنَّهُ الوَاحِدُ فى أُلوهيته ، القديمُ فى وحدانيته ، وصلى الله على أشرف بَرِيَّتِه [١] ، محمد وعلى آله وَعِتْرَتِهِ [٢] .

هذه فصول من المواعظ ، كَالأُنْمُوذج [٣] للواعظ ، يَنْسج على منوالها ، ويدرج فى مثالها ، تشتمل على إشاراتٍ لائحة [٤] ، وعباراتٍ واضحة ، والله المعين .

* * *

---

(١) **بريته** : خلقه .
(٢) **عترة الرجل** : نسله ورهطه وعشيرته .
(٣) **الأنموذج** : المثال يُحتذى .
(٤) **لائحة** : ظاهرة .

# الفصل الأول

# ابكِ علَى خَطِيئَتِكَ

إخـوانى : لو تَفكَّرتْ النُّفُوسُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَتَذَكَّرت حِسَابهَا فِيمَا لَهَا وعليها ، لَبَعَثَ حزنها بَرِيدُ دَمَهَا إليها ؛ أما يحق البُكاء لمن طَالَ عِصْيَانُهُ : نَهَاره فى المعاصى ، وقد طال خُسرانه ، وليله فى الخطايا ؛ فقد خَفَّ مِيزَانُهُ ، وبين يديه الموت الشديد فيه من العذاب ألوانه .

روى ابن عمر [(١)] رضى الله عنهما قال : « **اسْتَقبَلَ رسُـولُ الله** ﷺ **الحجر** [(٢)] **فَاسْتَلَمَهُ ، ثم وَضَعَ شَفَتَيْـهِ عَلَيْهِ يَبْكِى طَويلاً ، فَالْتَفَتَ ، فإذا هو بِعُمَر يَبْكِى ، فقال : يا عمر هٰهنا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ** » [(٣)] .

وقال أبو عمران الجونى [(٤)] : بلغنى أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكى ، فقـال : يا رسول الله ما يُبْكِيكَ : فقال : أَوَ مَا تَبْكِى أَنْتَ ؟ فقال : يا مُحمَّد ، ما جَفَّتْ لى عَيْنٌ منذ خلق الله جَهَنَّمَ مَخَافَةَ أن أعصيَه فَيُلْقِينِى فيها .

---

(١) هو : **عبد الله بن عمر بن الخطاب** العدوى أبو عبد الرحمن ، صحابى من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية ، وكان جريئاً جهيراً ، نشأ فى الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، ومولده سنة ١٠ ق هـ بها ، ووفاته سنة ٧٣ هـ بها أيضاً ، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى ، له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً . ( انظر : الأعلام ٤/١٠٨ ) .

(٢) **أى** : الحجر الأسود .

(٣) الحديث ورد فى تذكرة الموضوعات ، لابن القيسرانى ، وهو ضعيف جداً ، وهو مروى من طريق محمد بن عون الخرسانى وهو منكر الحديث ، ورواه ابن ماجه ( ٢٩٤٥ ) والحاكم ( ١/ ٤٥٤ ) والبيهقى فى شعب الإيمان ( ١/١٣٥ ) .

(٤) **أبو عمران الجونى** : واعظ ، صوفى ، سمع جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم أنس ابن مالك وجندب وابن عبد الله وعائذ بن عمرو ، وأبو برزة رضى الله عنهم .
( انظر :حلية الأولياء ٢/٣٠٩ - ٣١٨ ) .

وقال **يزيد الرقاشي**(1) : إن لله ملائكة حول العرش تَجْرِى أَعْيُنُهمْ (2) مثل الأنهار إلى يوم القيامة : يَمِيدُون (3) كأنما تَنْفُضُهم (4) الرِّيح من خشية الله ، فيقول لهم الربّ عَزَّ وجَلَّ : يا ملائكتى ، ما الذى يُخِيفُكم وأنتم عبيدى : فيقولون : يا ربَّنا لو أن أَهْلَ الأَرْضِ اطَّلَعُوا من عِزَّتِكَ وَعَظَمَتِكَ على ما اطَّلَعْنَا : مَا سَاغُوا طعاماً ولا شراباً ، ولا انبسطوا فى شربهم ، ولخرجوا فى الصَّحَارى يَخُورُون (5) كما تَخُور البقر .

وقال(6) **الحسن**(7) : بكى آدم عليه السلام حين أُهْبِطَ من الجنَّة مائة عام حتى جَرَتْ أودية سَرَنْدِيب (8) من دموعه ، فَأَنْبَتَ الله بذلك الوادى من دموع آدم الدارصينى (9) والفلفل ، وجعل من طَيْرِ ذلك الوادى الطواويس(10) ،

---

(1) يزيد الرقاشي: هو يزيد بن إبان الرقاشى ، زاهد ، ضعيف فى الحديث ، مات قبل ١٢٠ هـ . (انظر : التقريب ٣٦١/٢ ) .

(2) **تجرى أعينهم** : أى بالدمع « يكون أشد البكاء » .

(3) **يميدون** : يتحركون .

(4) **انتفض الشيء** : تحرك واضطرب .

(5) **يخورون** : يصيحون .

(6) هذه الأخبار التى تذكر معظمها من الإسرائيليات التى تروى على سبيل الحكاية والاتعاظ فقط ، ولا تصدق ولا تكذب .

(7) هو : **الحسن بن يسار البصرى** ، أبو سعيد ( ٢١ - ١١٠ هـ ) ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه . وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسَّاك ، ولد بالمدينة ، وشَبَّ فى كنف على بن أبى طالب ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية وسكن البصرة ، وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف فى الحق لومة ، وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه ، ولمَّا ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه : إنى قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لى أعواناً يعينونى عليه ، فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله . أخباره كثيرة وله كلمات سائرة . توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .
مصادره كثيرة منها ( الحلية ١٣١/٢ ، طبقات ابن سعد ١٥٦/٧ ، الأعلام للزركلى ) .

(8) **سرنديب** : جزيرة معروفة بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً فى مثلها ، ويقال عن جبل بها : إنه الجبل الذى هبط عليه آدم عليه السلام ، وهو ذاهب فى السماء ، يراه البحريون من مسافة أيام كثيرة . ( انظر : معجم البلدان ) .

(9) **الدراصينى والفلفل** : أسمان لنباتان .

(10) **الطواويس** : مفردها طاؤوس وتكتب : طاوس : طائر حسن همزته بدل من واو لأن جمعها طواويس .

ثم إن جبريل عليه السلام أتاه وَقَالَ : يا آدم ارْفَعْ رَأْسَكَ فقد غُفِرَ لك ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثم أتى البيت [١] فطاف ( به [٢] ) أُسبوعاً ، فما أتمه [٣] حتى خاض فى دموعه .

**وقال ابن أسباط** [٤] : لو عدل بكاء أهل الأرض ببكائه عليه السلام : كان بكاء آدم أكثر [٥] :

بكيتُ على الذنوب لعظم جُرْمِى     وَحَقٌّ لِمَنْ عَصَى مُرُّ البُكَاءِ
فَلَو أَنَّ البُكَاءَ يَرُدُّ هَمِّى     لأَسْعَدْتُ [٦] الدُّمُوع مَعَ الدِّمَاءِ [٧]

**قال وهيب بن الورد** [٨] : لمَّا عاتب الله نوحاً أنزل عليه ﴿ **إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [٩] ، فبكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت أعينه أمثال الجداول من البكاء [١٠] .

**قال يزيد الرقاشى** : إنما سمى ( نُوحاً ) لأنه كانَ نَوَّاحاً [١١] .

---

(١) **ثم أتى البيت فطاف به أُسبوعاً** : قيل : أى المكان الذى كان سيبنى به البيت الحرام بعد ذلك ، وقد وضع قواعده شيث بن آدم ، وقيل : بل كان البيت موجوداً قبل آدم ، وقيل : الذى بناه إبراهيم عليه السلام ، فهذه الرواية إن صَحَّت فهى مع الرأى القائل بأن البيت كان موجوداً قبل آدم .
أما الأسبوع : فهو سبع مرات ، أى طاف حول البيت سبع مرات ، ويجوز أن يكون أُسبوعاً ، أى سبعاً من الأيام .

(٢) فى الأصل ( أ ) : فيه .

(٣) **فما أتمه** : أى ما أتم الطواف سبع دورات ، أو ما أتم الأُسبوع فى الطواف حسب معنى كلمة أُسبوع ، فالضمير عائد عليه .

(٤) ابن أسباط ، هو يوسف بن أسباط ( حلية الأولياء ، ترجمة رقم ٣٧٦ ج ٨ ) .

(٥) ( انظر نصاً قريباً منه فى : الدر المنثور ٨٥/١ عن ابن عباس وأخرجه ابن عساكر ) .

(٦) **لأسعدت** : لَشَارَكْتُ وساعدت .     (٧) الأبيات من بحر الوافر .

(٨) هو : وُهَيْب بن الوَرْد بن أبى الورد ، المخزومى بالولاء ، أبو أمية ، من العُبَّاد الحكماء ، من أهل مكة ، ووفاته بها ، كان من أقران إبراهيم بن أدهم ، وكان سفيان الثورى إذا حدَّث النَّاس فى المسجد الحرام وفرغ ، قال : قوموا إلى الطَّيِّب ! يعنى وهيباً ، له أخبار وكلمات مأثورة ، وكان اسمه « عبد الوهاب » فصغِّر فقيل : « وهيب » . توفى سنة ١٥٣ هـ . (انظر : الأعلام ١٢٦/٨ ) .

(٩) سورة هود ، الآية ٤٦ .     (١٠) أخرجه أحمد فى الزهد ( ١٠٨/١ ) .

(١١) **نوحاً** : الأولى نبى من أنبياء الله عليهم السلام وهو أبو البشرية الثانى .
**ونوَّاحاً** : صيغة مبالغة من النوح : وهو البكاء مع الحزن . وقصد باجتماع اللفظين الجناس =

أَنُـوحُ عَـلَى نَفْسِى وَأَبْكِى خَطِيئَـةً
تَقُـودُ خَطَـايا أَثْقَـلت مِنِّى الظَّهْـرَا

فيـا لَـذَّة كانت قَلِيـــل بَقَـــاؤُهَـا
ويا حَسْرَةً دَامَتْ ولم تُبْق[١] لى عُذْرَا[٢]

**وقال السُّدِّى**[٣] : بكى[٤] داود حتى نبت[٥] العشب من دموعه ، فلمَّا رماه سهم القدر جعل يَتَخَبَّطُ فى دماء تَفْرِيطِهِ ولسان اعْتِذَارِهِ يُنَادِى : اغْفِرْ لِى ، فَأَجَابَهُ : لِلْخَطَّائِينَ ، فصار يقول : اغفر لِلْخَطَّائِينَ .

**قال ثابت البنانى**[٦] : حَشَى داود[٧] سبعة أَفْرُشٍ بالرَّمادِ ثم بَكَى حَتَّى أَنْفَذَتْهَا دُمُوعه .

تَصَـاعَدَ من صَـدْرِى الْغَرامُ لِمُقْلَتِى
فَغَـالَبَنِى شَـوْقِى بفَيْـضِ المَـدَامِعِ

وَإِنَّ فى ظَـلَامِ اللَّيْــلِ قَمْـرية إذا
بكيتُ بَكَتْ فى الدَّوْحِ طُول المَدَامِعِ[٨]

---

= وإظهار الاشتقاق .

وفى الأصل ( أ ) : نوح . والخبر فى حلية الأولياء ، للأصفهانى ج ٣ ص ٥٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر . ( انظر : الدر المنثور ٤٧٩/٣ ) .

(١) فى الأصل ( أ ) : يبقى .

(٢) الأبيات من بحر الطويل .

(٣) **السُّـدِّى** : هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، تابعى ، حجازى الأصل ، سكن الكوفة ، قال فيه ابن تغرى بردى : « صاحب التفسير والمغازى والسِّيَر ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيَّام الناس . توفى سنة ١٢٨ هـ . ( انظر : الأعلام ٣١٧/١ ) .

(٤) فى الأصل ( أ ) : بكا .

(٥) فى الأصل ( أ ) : نَبَتُ .

( انظر : سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٥ ، طبقات المفسرين ١٠٩/١ ، الأعلام للزركلى ) .

(٦) **ثابت البنـانى** : ثابت بن أسلم ، أبو محمد البصرى ، التابعى ، القاص ، الزاهد ، العابد ، أحد مفاتيح الخير . ولد سنة ٤١ هـ ، وبنانة الذين منهم ثابت البنانى : هم بنو سعد بن لؤى بن غالب وأُم سعد بنانة ، وقيل : بنو سعد بن ضبيعة بن نزار ، وتوفى ثابت سنة ١٢٧ هـ .

( انظر : طبقات الصوفية ص ١٢٥ ، تذكرة الحفاظ ١٢٥/١ ، تقريب التهذيب ١١٥/١ ، حلية الأولياء ١٨٠/٣ ) .

(٧) هو نبى الله داود عليه السلام .

(٨) الأبيات من بحر الطويل .

**قال سليمان التيمى** (١) : ما شرب داود عليه السلام شراباً إلَّا مزجه بدموع عينيه .

**قال مجاهد** (٢) : سأل داود (٣) ربَّه أن يجعلَ خطيئته فى كَفِّهِ فكان لا يتناول طعاماً ولا شراباً إلَّا أَبْصَرَ خطيئته فَبَكَى ، وربما أتى بالقدح ثلثاه فَمَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوله ، فَيَنْظُر إلى خطيئته ، ولا يَضَعَهُ على شفتيه حتى يَفِيضَ من دموعه (٤) .

**وقال بعض أصحاب** (٥) **فتح** (٦) : « رأيته ودموعه خالطها صُفْرة فقلت : على ماذا بكيتَ الدَّمَ ؟ قال : بكيتُ الدُّمُوعَ على تَخَلُّفِى عن واجب حَقِّ الله ، والدَّمَ خوفاً أن لا أُقْبَلَ ، قال : فرأيته فى المَنَامِ ، فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : غَفَرَ لى ، قلت : فدموعك ! قال : قربتنى ، وقال : يا فَتْحُ على ماذا بكيت الدموع ؟ قلت : يا رب على تَخَلُّفِى عن واجب حَقِّكَ ، قال : فالدَّمَ ؟ قلت : بكيتُ على دموعى خوفاً أن لا تُصْبِحَ لى ، قال : يا فَتْحُ ، ما أردت بهذا كله ، وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لقد صعد إِلَيَّ حَافِظَاك

---

(١) سليمان بن طرخان التيمى أبو المعتمر ، نزيل التَّيم فنسب إليهم ، ثقة ، عابد فاضل .
( انظر : التقريب ٣١٦/١ ، طبقات ابن سعد ٢٤٦/٧ ) .

(٢) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكى ( ٢١ - ١٠٤ هـ ) مولى بنى مخزوم ، تابعى مفسر من أهل مكة .

قال الذهبى : شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت ، وكيف كانت ؟ وتنقل فى الأسفار ، واستقر فى الكوفة ، وكان لا يسمع بأعجوبة إلَّا ذهب فنظر إليها : ذهب إلى « بئر برهوت » بحضرموت ، وذهب إلى « بابل » يبحث عن هاروت وماروت . أما كتابه فى « التفسير » فيتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب ، ويقال : إنه مات وهو ساجد .

( انظر : الأعلام ٢٧٨/٥ ، سير النبلاء ص ٤ ، طبقات الفقهاء ص ٤٥ ) .

(٣) هو نبى الله داود عليه السلام .

(٤) به ثلثاه طعام وبه ثلثه فارغ فيمتلىء الثلث الأعلى من القدح بالدموع لكثرتها .

(٥) هو أبو إسماعيل وكان من أصحاب فتح .

(٦) هو : فتح بن سعيد الموصلى ، أبو نصر ، ت سنة ٢٣٠ هـ ، من أقران بشر الحافى ، وسرى السقطى ، كبير الشأن فى باب الورع والمعاملات ، ويقال له : الكارى أيضاً نسبة إلى الكار قرية قرب الموصل مقابلها من شرقها ، وهو غير فتح بن محمد بن وشاح الموصلى .

أربعين سنة بِصَحِيفَتِكَ ما فيها خطيئة »[1] .

أجارتنـا بالغـدر والرَّكْب مُتَّهـم ... أَيَعْلَـم خـالٍ كيف بـات المُتَيَّمُ
رحلتم وعُمْر الليل فينَا وفِيكم ... سـواءٌ ولَكِن سَـاهِـرَاتٌ وَنُـوَّم
تَنَـاءَيْتُم من ظَـاعنـين وخـلَّفوا ... قُلُوبًا أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمُ
وَلَمَّا جلى التَّودِيع عَمَّا حذَّرته ... وَلَا زَال نظـــرة تتغـــنم
بَكِيت علَى الوادِى فحرمت ماؤه ... وكيفَ يَحـل المَـاء أكثره دم[2]

**قال عبـد الله بن عمـرو**[3] : كان يحيى[4] يَبْكِى حتى بَدَتْ[5] أضراسه .

**قال مجاهد**[6] : كانت الدُّموع قد اتخذت فى خَدِّه مجرى .

يا مَنْ مَعَاصِيهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، يا مَنْ رَضِى أن يُطْرَدَ وَيُقْصَى ، يا دائم الزَّلَلِ وكم يُنْهَى ويوصى ، يا جهولا بقدرنا ومثلنا لا يعصى ، إن كان قد أصَابَكَ دَاءَ دَاود[7] ، فَنُحْ نَوْح نوح[8] ، تَحْيَا بِحَيَاةِ يحيى[9] .

---

(١) ( انظر الخبر بتغيير بعض الألفاظ فى طبقات الأولياء ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، طبعة دار المعرفة - بيروت ) .

(٢) الأبيات من بحر الطويل .

(٣) هو : عبد الله بن عمرو بن العاص من قريش ( ولد سنة ٧ ق . هـ ) ، صحابى من النُّسَّاك ، من أهل مكة ، كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية وأسلم قبل أبيه فاستأذن رسول الله ﷺ فى أن يكتب ما يسمع منه فأذن له ، وكان كثير العبادة حتى قال له النبى ﷺ : « إن لجسدك عليك حقًّا ، وإن لزوجك عليك حقًّا ، وإن لعينك عليك حقًّا ... » الحديث . وكان يشهد الحروب والغزوات ، ويضرب بسيفين ، وحمل راية أبيه يوم اليرموك ، شهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة ، ولَمَّا ولى يزيد امتنع عبد الله عن بيعته وانزوى ـــ كما تقول إحدى الروايات ـــ بجهة عسقلان ، منقطعاً للعبادة ، عمى فى آخر حياته ، واختلفوا فى مكان وفاته ، له ٧٠٠ حديث . توفى سنة ٦٥ هـ . ( انظر : الأعلام ٤/١١٠ ) .

(٤) يحيى عليه السلام ابن زكريا عليه السلام . (٥) **بـدت** : ظهرت .

(٦) سبق ترجمته . (٧) **داء داود** : أى معصية داود .

(٨) **نح نوح نوح** : أى ابك بكاء نوح عليه السلام ، ويقال : إنما سمى نوح نوحاً لأنه كان نوَّاحاً ، أى كثير البكاء من خشية الله .

(٩) **تحيا بحياة يحيى** : أى حياة الزهد والتقوى ، ولا يخفى ما فى الكلمات من السجع الأخاذ بأطراف القلوب .

روى عن عمر بن الخطاب [١] رضى الله عنه أنه كان فى وجهه خطوط مُسْوَدَّة من البكاء .

**وَبَكَى ابن مسعود** [٢] ، حتى أَخذَ بِكَفِّه من دموعه فرمى به .

**وكان عبد الله بن عمر** [٣] يُطْفِىء المصباح بالليل ثم يبكى حتى تلتصق عينيه .

**وقال أبو يونس بن عبيد** [٤] : كُنَّا ندخل عليه فيبكى حتى نَرْحَمَهُ .

**وكان سعيد بن جبير** [٥] ، قَدْ بَكَى حَتَّى عمش .

---

(١) **هو : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى** ، أبو حفص ( ٤٠ ق هـ ــ ٢٣ هـ ) ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لُقِّبَ بأمير المؤمنين الصحابى الجليل الشجاع الحازم صاحب الفتوحات ، يضرب بعدله المثل ، كان فى الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم ، وله السفارة فيهم ، ينافر عنهم ، وينذر من أرادوا إنذاره ، وهو أحد العمرين اللذين كان النبى ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع ، أخباره كثيرة ، وله فى كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً . قتله أبو لؤلؤة المجوسى غيلة بخنجر فى خاصرته وهو فى صلاة الصبح وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال ودفن بجوار النبى ﷺ وأبى بكر بحجرة عائشة بالمدينة المنورة .
( انظر : الأعلام للزركلى ٤٥/٥ ) .

(٢) **هو : عبد الله بن مسعود** بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى ، من أكابرهم ، فضلًا وعقلًا ، وقرباً من رسول الله ﷺ ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله الأمين ﷺ وصاحب سره ، ورفيقه فى حلِّه وترحاله وغزواته ، يدخل عليه كل وقت ويمشى معه ، وكان قصيراً جدًّا ، يكاد الجالسون يوارونه ، وكان يحب الإكثار من التطيب ، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مَرَّ من طيب رائحته ، له ٨٤٨ حديثاً ، توفى سنة ٣٢ هـ . ( انظر : الأعلام ١٣٧/٤ ) .

(٣) **عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوىّ** [ سبق ترجمته ] .

(٤) **هو : أبو يونس بن عبيد بن دينار العبدى** ، بالولاء البصرى أبو عبد الله ، أو أبو عبيد ، من حُفَّاظ الحديث الثقات ، من أصحاب الحسن البصرى ، كان من أهل البصرة ، يبيع الخز ونعته الذهبى بأحد أعلام الهدى ، له نحو ٢٠٠ حديث ، توفى سنة ١٤٠ هـ تقريباً .

(٥) **سعيد بن جُبير الأسدى بالولاء** ، الكوفى ، أبو عبد الله ، تابعى ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان أَعْلَم التابعين قاطبة ، وهو حبشى الأصل ، من موالى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس ، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألوننى وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعنى سعيداً ، ولَمَّا خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، على عبد الملك بن مروان ، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن ، فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه واليها خالد القَسرى ، وأرسله إلى الحجَّاج ، فقتله بواسط ، وقال الإمام أحمد بن حنبل : =

**وكان أبو عمران الجونى** [1] ، إذا سمع المؤذن ، تَغَيَّر وفاضت عيناه .

**وكان أبو بكر النهشلى** [2] ، إذا سمع الأذان تَغَيَّر لونه وأرسل عينيه بالبكاء .

**وكان نهاد بن مطر العدوى** [3] ، قد بكا حتى عَمِيَ .

وبَكَى ابنه العُلَا ، حتى عشى بصره .

وكان منصره قد بَكَى حتى جردت عيناه .

**وكانت أُمُّهُ تقول** : يا بنى ، لو قتلت قتيلًا ما زِدْتَ على هذا .

**وبَكَى هشام الدستوائى** [4] حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة ، وهو لا يبصر بها .

**وبَكَى يزيد الرقاشى** [5] أربعين سنة حتى أَظْلَمَتْ عيناه وأحرقت الدموع مجاورتها .

**وبَكَى ثابت البنانى** [6] حتى كاد بصره أن يذهب ، وقيل له : نُعَالِجُكَ ، على أن لا تَبْكى ، فقال : لا خير فى عين لم تَبْكِ :

بَكَى البَاكُونَ لِلرَّحْمنِ لَيْلًا     وبَاتُوا دمعهم ما يَسْأَمُونَا

بِقَاعُ الأَرْضِ من شوقى إليهم     تَحُنُّ متى عليها يَسْجُدونا [7]

---

= قتل الحجَّاج سعيداً ، وما على وجه الأرض أحد إلَّا وهو مفتقر إلى علمه . ( وفيات الأعيان ٢٠٤/١ ، طبقات ابن سعد ١٧٨/٦ ، تهذيب التهذيب ٤ - ١١ ، الأعلام ٩٣/٣ ) .

(١) سبقت ترجمته .     (٢) أبو بكر النهشلى .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) هو : هشام الدستوائى سمع لقتادة ويحيى بن أبى كثير وطبقتهما من البصريين ، وحماد ابن أبى سليمان وطبقته من الكوفيين وأبا الزبير ، وطبقته من المكيين ، وذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء رقم ٣٧٦ .

(٥) **يزيد الرقاشى** : هو يزيد بن أبان الرقاشى .

(٦) **ثابت البنانى** : سبقت ترجمته .

(٧) الأبيات من بحر الهزج غير المجزوء .

كان الفضلُ [1] قد أَلِفَ البُكا ، حتى ربَّما بَكَى فى نومه حتى يسمع أهل الدار :

وَرَقَّت دُمُوعُ العين حتى كأنها دُمُوعُ دمُوعِى ، لا دُمُوع جفُونِى [2]

**وكان أبو عبيدة الخوَّاص** [3] يبكى ، ويقول : قد كبرت فاعتقنى .

**ويقول الحسن بن عدقة** : رأيت يزيد بن هارون [4] بواسط [5] من أحسن الناس عينين ثم رأيته بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له : ما فَعَلَتْ العينان الجميلتان ؟ قال : ذهب بهما بكاء الأَسْحَار [6] ، يا هذا لو عَلِمْتَ ما يَفُوتك فى السَّحَرِ مَا حَمَلَكَ النَّوْمُ ، تَقْدُمُ حينئذ قوافل السهر على قلوب الذَّاكرين ، وتَحُطُّ رواحل المغفرة على رباع المستغفرين ، من لم يَذُقْ حلاوة شراب السَّحَرِ لم يَبْلُغ عِرْفَانه بالخير ، من لم يتفكرْ فى عمره كيف انْقَرَضَ لم يبلغ من الحزن الغرض .

**قيل لعطاء السليمى** [7] : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن أبكى حتى لا أَقْدِرُ أَنْ أَبْكِى ، وكان يبكى الليل والنهار ، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه .

---

(١) الفضل هو : أبو القاسم الفضل بن محمد بن إبراهيم السِّلْفى .

(٢) البيت من بحر الطويل .

(٣) هو : **أبو عبيدة عباد بن عباد الخواص** ، والخبر فى صفة الصفوة ٢٧٥/٤ - ٢٧٦ ترجمة رقم ٨٠٠ فانظرها

(٤) يزيد بن هارون بن زادان بن ثابت السلمى بالولاء ، الواسطى ، أبو خالد : ( ١١٨ - ٢٠٦ هـ ) من حُفَّاظ الحديث الثقات . كان واسع العلم بالدين ذكيًا ، كبير الشأن ، أصله من بخارى ، ومولده ووفاته بواسط ، قدّر من كان يحضر مجلسه بسبعين ألفاً ، وكان يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر ! وأشار البلخى إلى أن « كتاباً » فيه أحاديثه ، كُفَّ بصره فى كبره . ( انظر : الأعلام ١٩٠/٨ ) .

(٥) مدينة واسط . (٦) **الأسحار** : أى وقت السحر .

(٧) **هو : عطاء العبدى السليمى** ، وهو ذو الخوف العظيم والقلب السليم ، ( ذكره أبو نعيم الأصفهانى فى حلية الأولياء رقم ٣٦٦ ) .

**وبَكَى مالك بن دينـار** [١] حتى سَوَّدَ طـريق الدموع خَدَّيه ، وكان يقول : لو ملكت البكاء لبكيت أيَّام الدنيا :

أَلَا ما لعين لا ترى قُلَل الحمى ولا جبـل الـديَّان إلَّا اسـتهلت
لجوخ [٢] إذا الحبُّ بكى إذا بَكَتْ
قـادت الهـوى وأَحَـلَّت إذا كانت القلوب للخوف وَرَقَّتْ [٣]
رفعت دموعها إلى العين وقت فأعتقـت رقاباً للخطـايا رَقَّتْ

من لم يكن له مثل تقواهم ، لم يعلم ما الذى أبكاهم ، من لم يشاهدُ جمال يوسف [٤] : لم يعلم ما الذى [ آلم [٥] ] قلب يعقوب [٦] :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تُفَتَّتُ الأكباد [٧]

فيا قاسى القلب ، هَلَّا بكيت على قسوتك ، ويا ذاهل العقل فى الهوى هَلَّا ندمت على غفلتك ، ويا مُقْبِلًا على الدنيا فكأنك فى حفرتك [٨] ، ويا دائم المعاصى خف من غِبِّ [٩] معصيتك ؛ ويا سيىء الأعمال نُحْ على خطيئتك ، ومجلسنا مَأْتَمٌ للذنوب ، فابكوا فقد حَلَّ مِنَّا البُكَاء ، ويوم القيامة ميعادنا لكشف الستور وهتك الغطاء .

* * *

(١) **هو : مالك بن دينار البصرى** ، أبو يحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفى بالبصرة سنة ١٣١ هـ ، وقيل : ١٢٧ هـ وكان أبوه من سبى سجستان ، وقيل : من كابل . ( انظر : حلية الأولياء ٣٥٧/٢ رقم الترجمة ٢٠٠ ) .

(٢) **الجـوخ** : الحفر ( فارسى معرب ) . (٣) الأبيات من بحر الطويل .

(٤) هو : يوسف عليه السلام نبى الله بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم — أنبياء الله عليهم السلام — وكان قد أعطى شطر الجمال كله .

(٥) ساقطة من الأصل ، والإضافة ليستقيم المعنى .

(٦) **هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** — من أنبياء الله عليهم السلام — أبو يوسف عليه السلام وآله ، فقده عندما طرحه إخوته فى الجُبِّ وحمل إلى مصر ، وبيع بيع الرقيق ودخل السجن ، وأصبح أميناً على خزائن مصر ، دون أن يعلم أبوه أو إخوته خبراً عنه ، فلما بحثوا عنه وجدوه .. وله سورة خاصة بقصته فى القرآن تسمى بـ « سورة يوسف » .

(٧) البيت من الوافر .

(٨) فى الأصل : حضرتك . (٩) **الغب** : ماء البحر الطاغى على الشاطئ .

## الفصل الثانى

# تفكر فى يوم القيامة

إخوانى تفكروا فى الحشر والمعاد ، وتذكروا حين تقوم [(١)] الأشهاد : إن فى القيامة لحسرات ، وإن فى الحشر لزفرات [(٢)] ، وإن عند الصراط لعثرات ، وإن عند [(٣)] الميزان لعبرات [(٤)] ، وإن الظلم يومئذ ظلمات ، والكتب تحوى حتى النظرات [(٥)] ، وإن الحسرة العظمى عند السيئات ، فريق فى الجنة يرتقون فى الدرجات ، وفريق فى السعير يهبطون الدركات [(٦)] ، وما بينك وبين هذا إلَّا أن يقال : فلان مات ، وتقول : رَبِّ ارجعونى ، فيقال : فات [(٧)] .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** » [(٨)] .

وأخرجا [(٩)] جميعاً من حديث أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ

---

(١) ساقطة فى « أ » والإضافة ليستقيم المعنى .

(٢) **الزفرات** : جمع زفرة ، والزفرة : أن يملأ الرجل صدره غمًّا ثم هو يزفر به ، والزفر يكون من شدة الأنين وقبيحه .

(٣) فى « أ » : لدى .

(٤) بياض فى الأصل وأظنها لعقبات أو لعبرات .

(٥) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ ... **ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها** ... ﴾ الكهف من الآية (٤٩) .

(٦) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ [ الشورى - ٧ ] .

(٧) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعونى * لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلَّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ .

[ المؤمنون ٩٩ - ١٠٠ ]

(٨) رواه البخارى فى كتاب (فى الرقاق ) ٧٤ فى باب ٤٧ قول الله تعالى : ﴿ **ألا يظن أُولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم** ﴾ ج ١١ ، ص ٣٩٢ ، ومسلم كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) : باب فى صفة القيامة رقم (٢٨٦٣ ) .

(٩) أى رواه البخارى ومسلم أيضاً ، وهو جزء من حديث طويل رواه البخارى : كتاب =

قال فى حديث : « **ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرانى [1] جهنم ، فقيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : مدحضه [2] ومزلة [3] ، عليه خطاطيف [4] وكَلَالِيبُ [5] وحسك [6] ، المؤمن يَعْبُرُ عليه كالطرف وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل ، فناج مسلم ، وناج مخدوش ، حتى يمرّ آخرهم يُسحب سحباً** » [7] .

لله درّ أقوام [8] أطار ذكر النار [9] عنهم النوم ، وطال اشتياقهم إلى

---

= (التوحيد) : باب ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ (٧٤٣٩) ، ومسلم : كتاب (الإيمان) : باب معرفة طريق الرواية (١٨٣) .

(١) **ظهرانى جهنم** : فوقها ، يقال : أقام بين ظهرانيهم : بينهم (الوسيط : ظهر) .

(٢) **مدحضة** : مزلقة ، تزلق من فوقه رجل المار فيهوى فى جهنم والعياذ بالله .

(٣) **مزلة** : موضع الزلل ، والزلة : السقطة والخطيئة .

(٤) **خطاطيف** : مفردها خُطَّاف ، أو خَاطُوف وهو كل حديدة مُعْوَجَّة .

(٥) **الكَلَاليبُ** : مفردها كُلَّابُ ، حديدة معوجة الرأس ينشل بها الشىء أو يعلق ، أو يعلق بها اللحم وترسل فى التنور .

(٦) **حسك** : الحسك من الحديد ما يعمل على مثال نبات الحسك : وهو نبات من الفصيلة الرطريطية ، له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل .

(٧) فكل إنسان يمر عليه بقدر عمله ودرجته عند ربه ، فأعلى الناس درجة وقرباً من الله عز وجل من يمرون على الصراط كالطرف ، أى مثل طرف العين ، أى يمرون على الصراط قبل أن يرتد إليهم طرفهم عند رمش العين . والذين بعدهم يمرون عليه بسرعة البرق الخاطف ، والطائفة التى تمر بعدهم تمر على الصراط بسرعة الريح العاصفة ، والطائفة التى بعدهم فى التقوى والعمل تمر على الصراط بسرعة كسرعة الخيل العَادِيَةِ الجيدة المسرعة .

وهذه الطوائف تنجو سالمة ، وبعد ذلك من ينجو وقد خدشته هذه الخطاطيف والكلاليب والحسك ، حتى أن آخر من ينجو على الصراط يكون مره عليه يسحب سحباً تخطفه الكلاليب والخطاطيف والحسك تارة ويعتدل على الصراط أُخرى ، يحبوا حبواً حتى ينجيه الله من فوق متن جهنم . أما الذين أقل منه فى التقوى والعمل الصالح والقرب من الله عز وجل ؛ فيزلون ويدحضون فى النار والعياذ بالله .

(٨) **لله در أقوام** : يقال هذا لمن يمدح ويُتعجب من عمله ، وهو أُسلوب مشهور فى العربية والأصل فيه : أن الرجل إذا كَثُرَ خيره وعطاؤه وإنالته الناس قيل : لله دره ، أى عطاؤه وما يؤخذ منه ، فشبهوا عطاءه بدر الناقة ، ثم كثر استعمالهم حتى صاروا يقولون لكل متعجب منه .

(٩) فى « أ » النيران .

الجنان الصوم[1] ، فنحلت أجسادهم ، وتغيرت ألوانهم ، ولم يقبلوا على سماع العذل فى حالهم واللوم ، دافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد[2] واليوم ، دخلوا أسواق[3] الدنيا فما تعرضوا لشراء[4] ولا سوم[5] ، تركوا الخوض فى بحارها[6] والعوم ، ما وقفوا بالإشمام[7] والروم[8] ، جدوا[9] فى الطاعة بالصلاة والصوم ، هل عندكم من صفاتهم شىء يا قوم[10] ؟

**قالت أُم الربيع أُم حيثم لولدها** : يا بنى أَلَا تنام ؟ قال : يا أُمَّاه ، من جَنَّ عليه الليل وهو يخاف الثبات[11] حق له أن لا ينام . فَلَمَّا رَأَتْ ما يَلْقَى من السَّهَر والبُكَا ، قالت : يا بنى لعلك قَتَلْتَ قَتِيلًا ، قال : نعم ، قالت : ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون ، فَوَالله لو يعلمون ما تَلْقَى من السَّهَرِ والبكاء لَرَحِمُوكَ ، فقال : يا والدتى ، هى نفسى .

**قيل لزيد بن مزيد** : ما لنا لم نزل نراك[12] باكياً ، وَجِلًا خائفاً ،

---

(١) فى « ب » والصوم . (٢) فى « أ » لغد .
(٣) فى « أ » أسواق . (٤) فى « أ » بشراء .
(٥) **السوم** : المساومة : وهى المفاوضة فى البيع والابتياع ، ويقصد أنهم تركوا الدنيا وراءهم واتجهوا للآخرة فكانت كل همهم ومبلغ غايتهم .
(٦) فى « أ » بحرها .
(٧) **الإشمام** ( عند جمهور النحاة والقرَّاء ) : صَبْغُ الصوت اللغوى بمسحة من صوت آخر ، مثل نطق : كثير من قَيْس وبنى أسد لأمثال : « قيل وبيع » بإمالة نحو واو المد ، ومثل : إشمام الصاد صوت الزاى فى قراءة الكسائى بصفة خاصة ، والإشمام أيضاً ( لدى القُرَّاء وحدهم ) : الإشارة بالشفتين إلى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون من غير تصويت بهذه الضمة .
(٨) **الروم** ( عند القراء ) : سرعة النطق بالحركة التى فى آخر الكلمة الموقوف عليها مع إدراك السمع لها ، وهو أكثر من الإشمام ، لأنه يدرك بالسمع .
(٩) **جدوا** : اجتهدوا .
(١٠) فن التفات من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ، والغرض من هذا الفن ، تقوية نشاط السامعين وجذب أذهانهم ، وتطبيق القول على نفس القارئ حتى يتمثل السامع كل هذه الصفات فى نفسه ، ويحاسب نفسه .
(١١) هكذا فى الأصل .
(١٢) فى « أ » لم نزل والصواب ما ذكرناه .

فقال : إن الله توعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى النار ، والله لو لم يتوعدنى أن يسجننى إلّا فى الحَمَّامِ لبكيت حتى لا تجف لى عَبْرة .

**وكان آمد الشَّامى يبكى** وينتحب فى المسجد حتى يعلو صَوته وتسيل دموعه على الحَصَى ، فأرسل إليه الأمير : إِنَّك تُفْسِدُ على المُصَلِّين صلاتهم بكثرة بكائك ، وارتفاع صَوْتِكَ ، ولو أمسكت قليلًا ، فبكى ثم قال : إِنَّ حزن يوم القيامة أورثنى دموعاً غزاراً فأنا أستريح إلى ذرِّها :

يا عاذل المشتاق دَعْهُ فَإِنَّه ... يطوى على الزَّفرات غير حشاكا [1]

لو كان قلبك قلبه ما لمته ... حاشاك مِمَّا عنده حاشاكا [2] [3]

**وعوتب عطاء السلمى** [4] فى كثرة البكاء ، فقال : إنى إذا ذكرت أهل النار وما يُنزلُ بهم من عذاب الله تعالى ، مثلت [5] نفسى بينهم فكيف لنفس تغلّ [6] يدها وتُسْحَبُ إلى النار ولا تَبْكِى ؟

**وقيل لبعضهم** : ارفق بنفسك ، فقال : الرفق أَطْلُب .

**وقال أسلم بن عبد الملك** : صَحِبْتُ رَجُلًا شهرين ، وما رأيته نائماً بليل ولا نهار ، فقلت : مالك لا تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن أَطَرْنَ نومى ، ما أخرج من أُعجوبة إلّا وقعت فى أخرى .

كثر فيك اللوم فأين سمعى وَهَمُّ قلبى واللوم عليك منجد ومتهم ؟ قال : أسهرت والعيون الساهرات نُوَّمُ ، وليس من جسمك إلّا جلدة وأَعْظُمُ .. وما عليهم سهرى ولا رقادى لهم ، وهل سمان الحب إلّا سهر وسقم ، خذ أنت فى شأنك يا دمعى وخل عنهم .

---

(١) **الحشا** : ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطحال والكرش وما تبع ذلك .

(٢) حاشاك : كلمة يستثنى بها . (٣) الأبيات من بحر الرجز .

(٤) عطاء السلمى ، من صغار التابعين ، أدرك أنس بن مالك وسمع من الحسن البصرى . ( السير ٨٦/٦ : ٨٩ وحلية الأولياء ٢١٥/٦ - ٢٢٦ ) .

(٥) أى تمثلت .

(٦) **تغل** : أى توضع فى الغل ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما . فى الأصلين ( أ ، ب ) : تغل إلى .

## الفصل الثالث

# بَادِرْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ

طوبى [1] لمن بادر عُمره القصير ، فعمَّر به دار المصير ، وَتَهَيَّأَ لحساب النَّاقِدِ البصير قبل فوات القدرة وإعراض النصير .

قال عليه الصلاة والسلام : « **بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلَّا فقراً مُنْسِيًّا ؟ أو غِنًى مُطْغِياً ، أو مَرَضاً مُفْسِداً ، أو مَوْتاً مُجْهِزاً ، أو هرمًا مُفنداً ، أو الدَّجال ، فَشَرٌّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أو الساعة ، فالسَّاعة أَدْهَى وأَمَرّ** » [2] .

**كان الحسن** [3] يقول : عجبت لأقوام أُمِرُوا بالزاد ونودى فيهم بالرحيل ، وجلس أولُّهُم على آخرهم وهم يلعبون .

**وكان يقول** : يابن آدم : « السكين تُشْحَذُ [4] ، والتَّنُّور يُسْجر [5] ، والكبش يعتلف [6] » [7] .

**وقال أبو حازم** [8] : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فى أوان

---

(١) **طـوبى** : أى خير وحسنى .

(٢) الحديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأشار الألبانى إلى ضعفه فى ضعيف الجامع ( ٢٣١٤ ، ورياض الصالحين ٩٣ ، ١٥٨ ) .

(٣) أى : الحسن البصرى رحمه الله ، سبقت ترجمته .

(٤) **شحذ السكين** : أحدَّه بالمِسَنِّ وغيره مِمَّا يُحِدُّ حده فهو شحيذ .

(٥) **سَجَرَ التَّنُّور** : ملأه وقوداً وأحْمَاه .

(٦) **اعتلف الكبش** : أكل العلف وهو طعام الحيوان .

(٧) يضرب ذلك مثلًا للإنسان : بأن الكبش قد يأكل العلف المقدم له والسكين تُشْحَذُ لذبحه ، والتنور يسجر لطهيه ، وهو لاه ساه عن ذلك بطعامه وشرابه ، وهذا المثل يضرب للإنسان الغافل عن آخرته ، اللاهى فى دنياه ، فعلى الإنسان أن يستعد للآخرة قبل أن تأتيه الساعة بغتة وهو لا يشعر .

(٨) هو : أبو حازم سلمة بن دينار المخزومى ، ويقال له : الأعرج : عالم المدينة وشيخها وقاضيها ، فارسى الأصل ، كان زاهداً عابداً ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه ، فقال : إن كانت له حاجة فَلْيَأْت ، وأما أنا فما لى إليه حاجة ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبى حازم » أخباره كثيرة ، توفى سنة ١٤٠ هـ . =

كسادها ، فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير ، وكان عون بن عبد الله (١) يقول : ما أُنْزِلَ المَوْتُ كُنْهَ (٢) منزلته ، ما قد غدا من أجلكم (٣) ، مستقبل يوم لا يستكمله ، وكم من مُؤَمِّلٍ لِغَدٍ لا يُدْرِكه ، إنَّكم لو رأيتم الأَجَل وَمَسِيرَهُ ، بَغَضْتُم الأَمَل وغُرُورَهُ .

**وكان أبو بكر بن عياش** (٤) يقول : لو سَقَطَ من أَحَدِهم دِرْهَمٌ لَظَلَّ يومه يقول : إنَّا لله ، ذَهَبَ دِرْهمى وهو يَذْهَبُ عُمْرُهُ ، ولا يقول : ذَهَبَ عُمْرى ، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ، ويحفظون الساعات ، ويلازمونها بالطاعات .

**فقيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه** : إنه ما مات حتى سرد الصوم (٥) .

**وكانت عائشة** (٦) رضى الله عنها تسرد ، وسرد أبو طلحة (٧) بعد

---

= ( انظر : الحلية ٢٢٩/٣ ، صفة الصفوة ١٥٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٩٦/٦ ) .

(١) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلى الكوفى ، أخو فقيه المدينة عبيد الله ، حدَّث عن أبيه وأخيه وابن المسيب وابن عباس وغيرهما وثقة أحمد وغيره ، من الطبقة الرابعة . توفى قبل سنة ١٢٠ هـ . ( انظر : تهذيب التهذيب ١٧١/٨ - ٣١٠ والأعلام ١٠٣/٥ ، وتهذيب سير أعلام النبلاء رقم ٦٦٤ ) .

(٢) **كُنه** : حقيقة .

(٣) أى ما ذهب من عمركم .

(٤) أبو بكر عياش بن سالم الأسدى الكوفى المقرئ الحافظ ، توفى سنة ٦٤ هـ ، وقيل قبل ذلك . والأثر أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣٠٣/٨ .

(٥) **سرد الصوم** : تابعه .

(٦) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، من قريش ، ولدت سنة ٩ ق هـ . أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تكنى بأُم عبد الله ، تزوجها النبى ﷺ فى السنة الثانية بعد الهجرة فكانت أحب نسائه إليه ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، ولها خطب ومواقف وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم ، وكانت مِمَّن نقم على « عثمان » عمله فى حياته ، ثم غضبت له بعد مقتله ، فكان لها فى هودجها بموقعة الجمل ، موقفها المعروف ، توفيت فى المدينة سنة ٥٨ هـ ، روى عنها ٢٢١٠ حديثاً . ( انظر : الأعلام ٢٤٠/٤ ) .

(٧) أبو طلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود النَّجارى الأنصارى : صحابى ، من الشجعان الرماة المعدودين فى الجاهلية والإسلام ، مولده فى المدينة سنة ٣٦ ق هـ ، ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره فشهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان جهير الصوت ، وفى الحديث : « لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل » ، وكان ردف النبى ﷺ يوم خيبر ، وتوفى =

رسول الله ﷺ أربعين سنة ، وقال نافع [1] : ما رأيت ابن عمر [2] صائماً فى سفره ولا مفطراً فى حضره .

**قال سعيد بن المسيب** [3] : ما تركت الصلاة فى جماعة منذ أربعين سنة [4] . وكان سعيد بن جبير [5] يختم القرآن فى ليلتين . وكان الأسود [6] يقوم حتى يخضر ويصفر ، وحج ثمانين حجة [7] .

**وقال ثابت البنانى** : ما تركت فى الجامع سادنة إلَّا وختمت القرآن عندها . وقيل لعمرو بن هانئ [8] : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تُسَبِّح كل يوم ؟ قال : مائة ألف ، إلَّا ما تخطىء الأصابع .

---

= فى المدينة سنة ٣٤ هـ ، وقيل : ركب البحر غازياً فمات فيه . ( انظر : الأعلام ٥٨/٤ - ٥٩ ) .

(١) هو : نافع المدنى أبو عبد الله ، من أئمة التابعين بالمدينة ، كان علَّامة فى فقه الدين ، متفقاً على رياسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة ، لا يعرف له خطأً فى جميع ما رواه ، وهو ديلمى الأصل مجهول النسب ، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً فى بعض مغازيه ، ونشأ فى المدينة ، وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السُّنَن ، توفى بالمدينة ( ١١٧ هـ ) .

(٢) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما سبقت ترجمته .

(٣) هو: سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبى وهب المخزومى القرشى، أبو محمد ، ولد سنة ١٣ هـ ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سُمِّى راوية عمر ، توفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ .

( انظر : طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، الحلية ١٦١/٢ وبه الخبر ) .

(٤) قريب منه فى السير للذهبى ٢٢١/٤ « ما سمعت المؤذن منذ ثلاثين سنة إلَّا وأنا فى المسجد » . قال الذهبى : إسناده ثابت والأثر عنه أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٧٣/٤ .

(٥) هو : سعيد بن جبير الأسدى سبقت ترجمته .

(٦) هو : الأسود بن يزيد بن قيس النخعى ، تابعى ، فقيه من الحُفَّاظ ، كان عالم الكوفة فى عصره ، توفى سنة ٧٥ هـ . ( انظر : الذهبى سير أعلام النبلاء ٥٢/٤ ) .

(٧) أرى أن فى هذا الخبر مبالغة ، إذ كيف يحج ثمانين حجة وهو متوفى سنة ٧٥ هـ ، فهذه الأخبار وإن كانت تحث على صالح الأعمال والاقتداء بصلاح الغير إلَّا أنها مستحيلة الوقوع كما ذكرنا .

(٨) عمر بن هانئ العنسى الدارانى ، أبو الوليد ، تابعى من رجال الدولة الأموية ، من أهل « داريا » بالشام ، استنابه الحجاج على الكوفة ، وولى خراج دمشق لعمر بن عبد العزيز ولَمَّا ولّى الوليد بن يزيد اتهم عمر بالتحريض على قتله ، ولَمَّا ثار أهل الغوطة على مروان بن محمد ، وولوا =

**وصام منصور بن المعتمر** (١) أربعين سنة وقام ليلها ، وكان الليل كله يبكى فتقول له أمه : يا بنى قَتَلْتَ قتيلًا ، فيقول : أنا أعلم بما صَنَعَتْ نفسى .

**قال الجمانى** : لَمَّا حضرت أبو بكر بن عَيَّاش الوفاة بكت أُخته ، فقال : لا تَبْكِ ، وأشار إلى زاوية فى البيت ، إنه قد ختم أخوك فى هذه الزَّاوِيَة ثمانية عشر ألف ختمة (٢) .

**قال الربيع** (٣) : وكان الشافعى (٤) رضى الله عنه يقرأ فى كل شهر ثلاثين ختمة ، وفى كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلوات(٥) ، واعلم أن الراحة لا تنال بالراحة ، ومعالى الأُمور لا تنال بالفتور ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ ، وَمَن جَدَّ وَجَدَ .

لله دَرُّ أقوامٍ شغلهم تحصيل زادهم ، عن أهاليهم وأولادهم ، ومال بهم ذِكْرُ المآل عن المال فى معادهم ، وصاحت بهم الدنيا فما أجابوا شغلًا

= عليهم يزيد بن خالد القسرى ، وحاصروا دمشق ، كان عمر من كبارهم ، وقُتِلَ مع يزيد بن خالد على أبواب دمشق ، وحمل رأسه على رمح إلى مروان بن محمد ، وكان بحمص ، وذلك سنة ١٢٧ هـ . ( انظر : الحلية ١٥٧/٥ وسير أعلام النبلاء ٤٢١/٥ وشذرات الذهب ١٧٣/١ وتهذيب التهذيب ١٤٩/٨ ) .

(١) فى الأصل : « ابن المعثم » هو منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة .
( انظر : تهذيب التهذيب ٢١٣/١٠ ورجال صحيح البخارى ٧٠٨/٢ ، والخبر فى حلية الأولياء ٥ ص ٤١ وصفة الصفوة ٣ ص ١١٢ ) .

(٢) أرى أن فى هذا الخبر شيء من المبالغة .

(٣) هو : الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المُرادى بالولاء المصرى ، أبو محمد ، ولد سنة ١٧٤ هـ ، صاحب الإمام الشافعى وراوى كتبه ، وأول من أملى الحديث بجامع طولون ، كان مؤذناً ، وفيه سلامة وغفلة ، ولد سنة ١٧٤ هـ ومات بمصر سنة ٢٧٠ هـ .
( انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ج ١ ، ص ٤٩١ رقم ٢٢٠٩ ) .

(٤) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى أبو عبد الله ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد فى غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفى بها وقبره معروف بالقاهرة ، كان من أشعر الناس وآدابهم وأعرفهم بالفقه والقراءات وكان من أرمى الناس ، أفتى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكيًا مفرطاً ، وله تصانيف كثيرة أشهرها كتاب « الأم » فى الفقه ، توفى سنة ٢٠٤ هـ . ( انظر : الأعلام ٢٦/٦ ) .

(٥) وأرى أن فى هذه الأخبار مبالغة إذ كيف يختم القرآن فى اليوم مرتين أو مرة واحدة .

ببرادهم ، وَتَوَسَّدوا أحزانهم[1] بدلًا عن وِسَادِهِم ، واتخذوا الليل مَسْلَكًا لجهادهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارحهم من النار عن غَيِّهم وفسادهم ، فيا طالب الهوى جُزْ[2] بناديهم ونادهم :

أَحيَـــوا فُـــؤَادِى ولَكِنَّهـــم ... علَى صَيحَة من البين ماتُوا جميعاً
حرمُوا[3] رَاحـة النَّوم أَجفَانهم ... وَلَفُّـوا علَى الزفرات الضُّـلوعَا
طُـوال السَّـواعد شُمُّ الأُنـوف ... فطَابُوا أُصُولًا وطَابُوا فُرُوعا[4]

أقبلت قلوبهم تراعى حق الحق فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق . فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى ، والقُلوب فى رياض الملكوت ترعى ، نازلهم الخوف فصاروا والهين ، وناجاهم الفكر فعادوا ، خائفين[5] ، وجَنَّ عليهم الليل فباتوا ساهرين ، وناداهم منادى الصَّلاح ، حىّ علَى الفلَاح ، فقاموا متهجدين ، وهَبَّتْ عليهم ريح[6] الأَسْحَار فتيقظوا مستغفرين ، وقَطَعُوا بَنْدَ المجاهدة فأصبحوا واصلين ، فلمَّا رجعوا وَقْتَ الفجر بالأَجْر بادى الهَجْر يا خيبة النائمين .

* * *

---

(١) **توسدوا أحزانهم** : وضعوا رءوسهم عليه ، أى لم يفكروا إلّا فى حزنهم .
(٢) **جُــزْ** : اعبر .
(٣) فى (ب) : حموا .
(٤) الأبيات من بحر الكامل .
(٥) ساقطة والزيادة من عندنا ليستقيم المعنى .
(٦) هكذا فى الأصل وأظنها رياح .

## الفصل الرابع

# ذكر الموت

**إخوانى** : أكثروا من ذكر هاذم اللَّذات وتفكَّرُوا فى انحلال بناء اللَّذَّات ، وتَصَوَّرُوا مَصير الصُّوَرِ إلى الرُّفَات ، وَأَعدُّوا عُدَّةً تَكْفِى فى الكِفَات [1] ، واعلموا أن الشيطان لا يتسلط على ذاكر الموت ، وإنما إذا غفل القلب عن ذكر الموت دخل العدو من باب الغفلة .

**قال الحسن** [2] : إن الموت فضح الدنيا فلم يترك لذِى لُب به فرحاً .

**وقال يزيد بن تميم** : من لم يردعه [3] الموت والقرآن ، ثم تناطحت عنده الجبال لم يرتدع .

**سُئِلَ ابن عياض** [4] عن ، ما بال الآدمى تُسْتَنْزَعُ نفسه ، وهو ساكت ، وهو يضطرب من القرصة ؟ قال : لأن الملائكة توقفه .

**يابن آدم** ، مَثِّلْ تلك الصّرعة قبل أن تذر كل غرة فتتمنى الرَّجْعَة ، وتَسْأَل الكَرَّة ، كَمْ من مُحْتَضِرٍ تمَنَّى الصِّحَّة للعمل هيهات حقَّر عليه بلوغ الأمل أو ما يكفى فى الوعظ مصرعه ، أو ما يشفى من البيان مضجعه .. أما فاته مقدوره بعد إمكانه .. أمَّا أنت عن قليل فى مكانة .

**ولَـمَّا احتضر عبد الملك بن مروان** [5] قال : والله لوددت أنَّى عَبْدُ

---

(١) **الكفات** : أى القبر ، لأنه يجمع عظام الموتى . (٢) هو : الحسن البصرى ( سبقت ترجمته ) .

(٣) **يردعـه** : يزجره ويكفه ويمنعه عن فعل المعاصى .

(٤) ابن عياض هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على : شيخ الحرم المكى ، ولد سنة ١٠٥ هـ ، من أكابر العُبَّاد الصُّلَحَاء . كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل مكة والكوفة وهو كبير ، وأصله منها ، ثم سكن مكة وتوفى بها ، من كلامه : « من عرف الناس استراح » . ( انظر : الأعلام ٥/١٥٣ ) .

(٥) هو : عبد الملك بن مروان بن الحاكم الأموى القرشى أبو الوليد ، ولد سنة ٢٦ هـ ، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ فى المدينة ، فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً ، وشهد الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ ، =

رَجُـلٍ من تهـامة[1] أرعى غنيمات فى جبـالها وأنى لم ألِ[2] .

وجعل المعتضد[3] يقول عند موته : ذهبت الحِيَلُ فلا حِيلة حتى صَمَتَ .

وقال أبو محمـد العجلى : دخلت على رجل فى النزع فقال لِي : سَخِرَتْ بى الدُّنيا حتى ذهبت أَيَّامى ، وفى الحديث : « **أما إِنَّكم لو أَكْثَرْتُـم ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَات**[4] ؟! »[5] .

يا من قد امتطى بجهله مطايا المطالع ، لقد ملأ الواعظ فى الصباح المسامع ؛ تالله لقد طال المدى فأين المدامع ؟ أين الذين بلغوا المنى فما لهم فى المنى منازع ، رمتهم المنايا بسهامها فى القوى والقواطع ، فعلموا أن أيَّام النِّعم فى زمان الخوادع ، ما زال الموت يدور على الدوام حتى طوى الطوالع ، صار الجندل[6] فراشهم بعد أن كان الحرير فيما مضى المضاجع ، ولقوا والله غاية البلاء فى تلك البلاقع[7] ، جمعوا فما أكلوا الذى جمعوا ،

---

= فضبط أُمورها وظهر بمظهر القوة ، وهو أول من صك الدنانير فى الإسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدراهم ، ونقلت فى أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، توفى سنة ٨٦ هـ بدمشق . ( انظر : الأعلام ١٦٥/٤ ) .

(١) **تهـامة** : صحراء بالجزيرة العربية .

(٢) لم أل : أتولى ولاية وأملكها وأقوم على أمرها ، أى يتندَّم لولايته على المسلمين لِعِظَمِ المسئولية أمام الله .

(٣) هو : أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل ، خليفة عباسى ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ونشأ ومات فى بغداد ، كان عون أبيه فى حياته أيام خلافة المعتمد ، وأظهر بسالة ودراية فى حروبه مع الزنج والأعراب وهو فى سن الشباب ، وبويع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩ هـ فحلَّ عن بنى العباس عقدة المتغلبين ، وظهر بمظهر الخلفاء العاملين ، ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشَّغَبِ فى البلاد فيقمع ثائرتهم ، حج وغزا وجالس المحدثين وأهل الفضل والدين ، توفى سنة ٢٨٩ هـ . ( انظر : الأعلام ١٤٠/١ ) .

(٤) **هـاذم اللـذات** : الموت .

(٥) الحديث طويل ، رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، فى باب ما جاء فى ذكر الموت ( ٢٣٠٧ ) ، وأخرجه النسائى فى كتاب الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ٢٠٤/٤ ، وابن ماجه ٤٢٥٨ ... وغيرهم .

(٦) **الجنـدل** : مكان فى مجرى النهر فيه حجارة تشتد حولها سرعة التيار وتتعذر الملاحة .

(٧) **البـلاقع** : جمع بلقع والبلقع من كل شىء ، الخالى ، وفى الحديث : « اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع » .

وبنوا مساكنهم فما سكنوا ، فكأنهم كانوا بها ظُعُناً (١) لما استراحوا ساعة ظعنوا (٢) . لقد أُمْكِنْتَ الفرصة أيها العاجز ، ولقد زال القاطع وارتفع الحاجز ، ولاح نور الهدى فالمجيب فائز ، وتعاظمت الرغائب وتفاقمت (٣) الجوائر (٤) ؛ فأين الهمم العالية ، وأين النجائز (٥) ؟ أما تخافون هادم اللَّذات والمنى والمناجز (٦) . أما اعوجاج القناة دليل الغامز (٧) . أما الطريق طويل وفيه المفاوز (٨) . أما عقاب العتاب تحوى الهزاهز (٩) . أما القبور قنطرة العبور فما للمجاوز . أما يكفى فى التنقيص (١٠) حمل الجنائز . أما العدد كثير فأين المبارز (١١) ؟ أما الحرب صعب والهلك ناجز (١٢) ، والقنا مسوغ والطعن واجز (١٣) ، والأمر عزيز والرماح البوس نواكز (١٤) . تالله بطلت الشجاعة من بنى العجائز ، وتزيد إصلاح نادك والأمر ناشز (١٥) . إن لم يكن سبق الصديق فليكن توبة ماعز (١٦) .

* * *

---

(١) **ظعناً** : رُحَّلًا ، أى مرتحلين . (٢) **ظعنوا** : ارتحلوا وسافروا .

(٣) **تفاقمت** : تفاقم الشىء ، عظم شره واستفحل .

(٤) **الجوائر** : الرافعين أصواتهم المتضرعين المستغيثين .

(٥) **النجائز** : الذين ينجزون الأمور ، أى يقضونها فى سرعة .

(٦) **المناجز** : المناجزة فى القتال ، أى المبارزة والمقاتلة .

(٧) **الغامز** : العائب .

(٨) **المفاوز** : جمع مفازة : وهى الفوز والنجاة وتطلق على الصحراء بتسمية الشىء بضد اسمه تفاؤلًا : أى فيه الصحراوات المهلكات .

(٩) **الهُزَاهز** : من الماء الكثير الجرى يهتز من صفائه .

**والهَزاهِز** : جمع هزهزة : وهى الفتنة يهتز فيها الناس ويبتلون .

(١٠) **التنقيص** : الموت . (١١) **المبارز** : المقاتل .

(١٢) **ناجز** : حاضر معجل . (١٣) **واجز** : وجز الكلام : قلَّ فى بلاغه .

(١٤) **نواكز** : **جمع نكز : أى طعن** . (١٥) **ناشز** : مرتفع .

(١٦) هو : ماعز الأسلمى الذى زنى ، وقصته مشهورة ، وفى بعض طرق الحديث عنه قول النبى ﷺ : « لقد تاب توبة لو قُسِّمَتْ بين أُمة لوسعتهم » رواه مسلم ( ١٦٩٥ ) فى الحدود .

## الفصل الخامس

# ذمّ الدُّنيا

**أيُّهـا العَبـد** : تَفكّر فى دُنْيَاكَ كَمْ قَتَلَتْ ، وَتَذَكَّر ما صَنَعَت بأقرانك ، وما فَعَلَتْ ، واحذرها فإنها عمَّا لابد منه قد شغلت ، وإيَّاك أن تُساكنها فإنها إن حلت رحلت .

**روى عمار بن ياسر** [١] رضى الله عنه أن [٢] رسول الله ﷺ « **مَرَّ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ قد ألقَـاهَا أهْلُهَا ، فقال : والَّذِى نَفسِى بِيَدِه إنَّ الدُّنيَا أهْوَن عَلَى اللهِ مِن هَذِهِ عَلَى أَهْلها** » [٣] . وكان يقول فى صِفَة الدنيا : « أوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فِنَـاء . حَلالُهَا حِسَابٌ وحَرَامُهَا عِقَابٌ . مَن اسْتَغْنَى بهَا فُتِنَ ، وَمَن افْتَقَرَ إلَيهَا حزن ، وَمَن سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ ، وَمَن نَأى عَنها أَتَتْهُ ، وَمَن نَظَرَ إلَيهَـا أعْمَتْهُ ، وَمَن بَصَر بِهَا بَصرته » .

**وصـفها بعض العلمـاء** ، فقال : جَمَّةُ المَصَائِبِ ، رَنْقَةُ المَشَارِبِ ، لا تَفِى لِصَاحِب .

**وقال يحيى بن معاذ** [٤] : الدنيا خمر الشيطان : من شربها لم يَفِقْ إلَّا بين عساكر الموتى ، نادماً بين الخاسرين قد ترك منها لغير ما جمع ، وتعلق

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطانى ، أبو اليقظان : صحابى جليل ، من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وكان النبى ﷺ يسميه ( الطيب المطيب ) ، وهو أول من بنى مسجداً فى الإسلام ( بناه فى المدينة وسماه قباء ) وولاه عمر الكوفة ، فأقام زمناً وعزله عنها وشهد الجمل وصفين مع على ، وقتل فى صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة ، له ٦٢ حديثاً ، ولد سنة ٥٧ هـ وتوفى سنة ٣٧ هـ . ( انظر : الأعلام ٣٦/٥ ) .

(٢) فى الأصل : أنه ﷺ .

(٣) رواه البخارى ، باب الذبائح ص ٣٠ والبيوع ص ١٠١ ، ورواه النَّسائى وفى موطأ الإمام مالك ، الصيد ص ١٦ ورواه أحمد فى مسند ٢٦٢/١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٦٥ ، ٣٢٩/٦ .

ورد الحديث بروايات عن جابر بن عبد الله ، والمستورد بن شداد ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن ربيعة ، وابن عمر ، وأبى الدرداء ، وأبى موسى الأشعرى .

(٤) هو : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ، أبو زكريا ، واعظ ، زاهد لم يكن له نظير فى وقته ، من أهل الرأى ، أقام ببلخ ، ومات فى نيسابور ، له كلمات سائرة ، توفى سنة ٢٥٨ هـ . ( انظر : الأعلام ١٧٢/٨ ) .

بحبل غرورها فانقطع ، وقدم على من يحاسبه على الفتيل[١] والنقير[٢] والقطمير[٣] ، فيما انقرض عليه من الصغير والكبير ، يوم تزل بالعصاة القدم ، ويندم المسيء على ما قَدَّم .

يا من حيّات حياته بالآفات لوادغ[٤] ، وأغراضه المنقلبة إليها منقلبة زوائغ[٥] ، وشياطين هواه بينه وبين ما هو[٦] له نوازع ، وسهام سهوه فى لهو دينه بوالغ قد جرحت الحجر على قلبه فأنساه الحجر الدَّامغ ، إن وعظ فساه ، وإن قُوِّم فزائغ ، قلبه ملآن بالهوى ، ومن التقى فارغ كأنى بك[٧] ، وسيف الممات فى دم الحياة والغ[٨] ، نازلك فانزلك بالنوى عن الأعالى التوابغ ، وتقضى التيامن نبات سلب الحلى الصَّايغ ، ومرّ إليك فمرَّ عليك الشراب السايغ ، وطمس شموس عِزِّك المنيرات النوازغ وخرق دروع المنيعات السدايغ ،أين من جمع الأموال وحماها ، واهاً لمن جمعها واقتناها ، تناهى أجله وما تناهى ، كم سلبت الدنيا أقواماً أقواماً كانوا فيها وعادت عزهم أحلاماً[٩] أحلاما ، فَتَفَكَّر فى حالهم كيف حال ، وانظر إلى من مال[١٠] إلى مال ، وتدبر أحوالهم إلى ماذا آل[١١] ، وتيقن أنك لاحق بهم بعد ليال ، عُمرك فى مُدَّةٍ ونفسك معدود ، وجسمك بعد مماتك مع دود ، كم أمّلت أملًا فانقضى الزمان وَفَاتَكَ ، وما أراك تفيق حتى تلقى وفاتك ، فاحذر زلل قدمك ، وخف طول ندمك ، واغْتَنِمْ وُجُودَكَ قَبْلَ عَدمك ، واقبل نُصحى لا تخاطر بِدَمِكَ .

---

(١) **الفتيل** : ما فتله الإنسان بين أصابعه من خيط أو وسخ ويضرب به المثل فى الشىء الصغير . قال تعالى : ﴿ **ولا يظلمون فتيلًا** ﴾ [ الإسراء - ٧١ ] .

(٢) **النقير** : ما نقر من الحجر والخشب ونحوهما ، ويضرب به المثل فى الشىء الضعيف . قال تعالى : ﴿ **ولا يظلمون نقيراً** ﴾ [ النساء - ١٢٤ ] .

(٣) **القطمير** : القشرة الرقيقة على النواة كاللُّفافة لها ويضرب مثلًا فى الشىء الحقير . قال تعالى : ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** ﴾ [ فاطر - ١٣ ] .

(٤) **لوادغ** : لدغته الحية ، عضته .

(٥) **زاغ عن الطريق** : عدل .

(٦) فى (ب) : مهو .

(٧) فى الأصل : كأنك بك .

(٨) **الولغ** : شرب السباع بألسنتها .

(٩) فى الأصل : أحلاماً أحلاماً .

(١٠) **مال** : الأولى : من الميل ، والثانية : من الأموال .

(١١) **آل** : رجع .

## الفصل السادس

# قُمِ اللَّيلَ وَاتْرُكِ التَّكاسُل

لله درّ أقوام هجروا لذيذ المنام وتنصلوا[1] لما نصبوا له الأقدام ، وانتصبوا للنصب فى الظلام ، يطلبون نصيباً من الإنعام ، إذا جنّ الليل سهروا ، وإذا جاء النهار اعتبروا ، وإذا نَظَرُوا فى عُيوبهم استغفروا ، وإذا تَفَكَّرُوا فى ذنوبهم بَكُوا وانْكَسَرُوا .

قال عليه الصلاة والسلام : « **عليكم بقيام اللَّيل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإنه قُرْبة إلى ربكم ، ومغفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم** »[2] .

وفى المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **عجب ربنا من رجلين : رجل ثار[3] عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته ، ورجل غزا فى سبيل الله فانهزموا فعلم ما عليه فى الفرار وما له فى الرجوع فرجع حتى أهريق[4] دمه** »[5] .

قال أبو ذر[6] رضى الله عنه : سألت رسول الله ﷺ « **أى صلاة**

---

(١) **تنصلوا** : تنصلوا من الشىء : خرجوا .

(٢) رواه أحمد والترمذى فى كتاب ( الدعوات ) باب فى دعاء النبى ﷺ رقم ( ٣٥٤٩ ) وقال : غريب صحيح ، ورواه الحاكم والبيهقى عن بلال رضى الله عنه ، ورواه الترمذى أيضاً والحاكم والبيهقى عن أبى أمامة ، ورواه ابن عساكر عن أبى الدرداء ، والطبرانى عن سلمان ، وابن السُّنِّى عن جابر ، وفى كنز العمال رقم ( ٢١٤٠٩ ) .

(٣) **ثار** : هاج وانتشر . (٤) **أهريق** : أهرق الماء : صبّه .

(٥) رواه أبو داود ، باب الجهاد ٣٢٦/٢ وأحمد ٤١٦/١ ، ( ٣٩٤٩ ) ، وقال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٦) أبو ذر الغفارى هو : جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد ، من بنى غِفار ، من كنانة بن خزيمة ، أبو ذر : صحابى من كبارهم ، قديم الإسلام يقال : أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يضرب به المثل فى الصدق ، وهو أول من حيَّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام . هاجر بعد وفاة النبى ﷺ =

**الليل أفضل ؟ قال : نصف الليل وقليل فاعله »**[١] .

**قال داود عليه السلام** : يارب ، أى ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله إليه : يا داود ، لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم فى شطر الليل حتى تخلو بى وأخلوا بك ، وارفع إلىّ حوائجك »[٢] .

وروى عمر بن عبسة[٣] عن النبى ﷺ أنه قال : « **أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله فى تلك الساعة ؛ فكن** »[٤] .

**كان همام بن الحارث**[٥] يدعو : اللهم ارزقنى سهراً فى طاعتك ، فما كان ينام إلَّا هنيهة وهو قاعد ، وكان طاوس[٦] يتقلب على فراشه ثم

---

= إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وولى عثمان ، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فاستقدمه عثمان ، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذ (من قرى المدينة ) فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ ، وروى البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .

( انظر : الأعلام ١٤٠/٢ ) .

(١) رواه النسائى ( ١٩٦/٩ ) تحفة الأشراف ، وابن حبان ( ٦٤٨ - موارد ) ، وأحمد ( ١٧٩/٥٠ ) .

(٢) أورده الحافظ ابن رجب فى الطائف ـــ المعارف ص ٤١ .

(٣) فى الأصل : ( عمر بن عنبسة ) وأظن أن الصواب ما ذكرناه ، وعمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة أحد السابقين إلى الإسلام ، وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك . مات بعد سنة ٦٠ هـ .

( انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ٧٣/١ رقم ١٩٤ ، حلية الأولياء ١٥/٢ رقم ١٠٧ ) .

(٤) رواه ابن ماجه ( رقم ٢٠٠ ) وفى إسناده مجالد وهو ابن سعيد وهو لين ، فإسناده ضعيف .

ورواه الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، غريب إسناده . ( ومعنى كلام الترمذى : أنه غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه ، والحديث بإسناد الترمذى سنده صحيح ، صححه الحاكم ووافقه الذهبى ) .

(٥) هو : همام بن الحارث النخعى ، الكوفى الفقيه ، حدَّث عن عمر وعمَّار بن ياسر ، والمقداد ابن الأسود وغيرهم ، وثَقَّهُ يحيى بن معين . توفى فى زمن الحجاج الثقفى .

( انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ١٤٧/١ رقم ٤٨٥ ) .

(٦) طاوس : هو طاوس بن كيسان الخولانى الهمدانى بالولاء ، أبو عبد الرحمن : من أكابر التابعين تفقهاً فى الدين ورواية للحديث وتقشُّفاً فى العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، =

يدرجه [١] ويقول : طَيَّرَ ذكر جهنم نوم العابدين .

**وقال القاسم بن راشد الشيباني** : كان ربيعة [٢] نازلًا بيننا ، وكان يصلى ليلًا طويلًا ، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : يٰأيها الركب المعرّسون : أهذا الليل تنامون ، ألَا تقومون فترحلون ، قال : فيسمع من هٰهنا باك ومن هٰهنا داع . فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى [٣] .

وكان كهمس يختم فى الشهر تسعين ختمة .

**قال الضحَّاك** [٤] : أدركت قوماً يستحيون من الله فى سواد هذا الليل من طول الضجعة .

**يا منازل الأحباب** : أين ساكنوك ؟ يا بقاع الإخلاص : أين قاطنوك [٥] ؟ يا مواطن الأبرار : أين عامروك ؟ يا مواضع التهجد : أين زائروك ؟ خلت والله الديار ، وباد القوم ، وارْتَحَلَ أرباب السَّهَرِ وبقى أَهْلُ النوم ، واستبدل الزَّمَان أكل الشهوات يا أهل الصَّوْمِ :

---

= أصله من الفرس ، ومولده سنة ٣٣ هـ باليمن ونشأ بها وتوفى بالمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٦ هـ ، وكان هشام ابن عبد الملك حاجًا تلك السنة فصلَّى عليه .

( انظر : سير أعلام النبلاء ٣٨/٥ ، شذرات الذهب ١٣٣/١ ، حلية الأولياء ٢٣/٤ ) .

(١) **يدرجه** : يطويه .

(٢) هو : ربيعة بن فروخ التيمى بالولاء المدنى أبو عثمان : إمام حافظ ، فقيه ، مجتهد ، كان بصيراً بالرأى ( وأصحاب الرأى عند أهل الحديث ، هم أصحاب القياس ، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً ) فلقب ربيعة الرأى ، وكان من الأجداد ، أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ، ولما قدم السفاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله .

قال ابن الماجشون : ما رأيت أحداً أحفظ للسنَّة من ربيعة ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وبه تفقه الإمام مالك ، توفى بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . ( النظر : الأعلام ١٧/٤ ) .

(٣) **السُّرَى** : سير عامَّة الليل .

(٤) هو : الضحاك بن مزاحم الهلالى أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم صاحب التفسير ، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وله باع كبير فى التفسير والقصص . توفى سنة ١٠٢ هـ ، وقيل غير ذلك . ( انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ١٦٩/١ ترجمة ٦١٥ ) .

(٥) **قاطنوك** : ماكثوك والمقيمين فيك .

كَفَى حَزَنًا بِالوَالِهِ[1] الصَّبّ[2] أن يرى
منازل من يهوى معطلة[3] قفرا[4] [5]

لله درّ أقوام اجتهدوا فى الطاعة ، وتاجروا ربهم فربحت البضاعة ، وبقى الثناء عليهم إلى قيام الساعة ، لو رأيتهم فى الظلام وقد لاح نورهم ، وفى مناجاة الملك العلام وقد تم سرورهم فإذا تذكروا ذنباً قد مضى ضاقت صدورهم ، وتقطعت قلوبهم أسفاً على ما حملت ظهورهم ، وبعثوا رسالة الندم والدمع سطورهم .

ولَمَّا وقفنا والرسائل بيننا ... دموع نهاها الواجدون توقفا
ذكرنا اللَّيالى بالعقيق[6] وظله ... الأنيق فقطعنا القلوب تأسفا[7]

* * *

نسيم الصِّبا إن زُرْت أرض أحبتى ... فخصهم منِّى بكل سلام
وبلغهم أنى برهن صبابةٍ ... وأن غرامى فوق كل غرام
وإنى ليكفينى طروق خيالهم ... لو أن جفونى متعت بمنام
ولستُ أُبالى بالجنان ولا لظى ... إذا كان فى تلك الديار مقامى
وقد صمت من أوقات نفسى كلها ... ويوم لقاكم كان فطر صيامى[8]

جال الفِكْر فى قلوبهم فلَاح[9] صوابهم ، وَتَذَكَّروا فَذُكِّرُوا كذكر إعجابهم ، وحاسبوا أنفسهم فحققوا حسابهم ، ونادموا للمخافة فأصبحت دموعهم شرابهم ، وَتَرَنَّمُوا بالقرآن فهو سمرهم مع أترابهم ، وكُلِّفُوا بطاعة الإله فانتصبوا بِحِرَابِهِمْ ، وخدموه مبتذلين[10] فى خدمته شبابهم ، فيا حسنهم وريح الأسحار قد حَرَّكت أثوابهم ، وحملت قصص غصصهم ثم ردت جوابهم .

---

(١) **الواله** : الذى اشتد حزنه حتى ذهب عقله .
(٢) **الصَّبّ** : يقال : صب إليه صبابه ، أى رقَّ واشتاق .
(٣) **والمعطال من النساء** : المعتادة ترك الحلى استغناء عنه بجمالها وتمام تخلقها .
(٤) **القفر** : الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ . ويقصد الأرض الجرداء الخراب .
(٥) البيت من بحر الطويل .
(٦) **العقيق** : الوادى الذى شقه البسيل قديماً فأنهره .
(٧) البيت من بحر االطويل .
(٨) الأبيات من بحر الكامل .
(٩) **لاح** : ظهر .
(١٠) **مبتذلين** : منفقين وباذلين .

## الفصل السابع

# اندم على ذنوبك

**أيهـا العبـد** : تَفَكَّر فى عُمر مضى كثيره ، وفى قدم ما يزال تعثيره ، وفى هوى قد هوى أسيره ، وفى قلب مشتت قد قل نظيره ، وتفكر فى صحيفة قد اسودَّت ، وفى نفس كلَّما نُصِحَتْ صَدَّتْ ، وفى ذنوب ما تحصى لو أنها عُدَّتْ .

**قال أبو الدرداء**[(١)] رضى الله عنه : تَفَكُّر ساعة خير من قيام ليلة .

**وقال أبو يوسف**[(٢)] **بن أسباط** : الدنيا لم تُخْلَقْ لِتَنْظُرَ إليها ، وإنما خلقت لِتَنْظُرَ بِهَا إلى الآخرة[(٣)] . وكان سفيان الثورى[(٤)] من شدة تفكيره يبول الدم . وقال أبو بكر الكَتانى[(٥)] : روعة عند انتباه من غفلة ، وانقطاع

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، صحابى من الحكماء الفرسان القضاة . كان قبل البعثة تاجراً بالمدينة ، ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك ، وفى الحديث : « عويمر حكيم أُمتى » و« نعم الفارس عويمر » . وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاض بها . قال ابن الجزرى : كان من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبى ﷺ بلا خلاف . مات بالشام ، وروى عنه أهل الحديث ١٧٩ حديثاً ، توفى سنة ٣٢ هـ . ( انظر : الأعلام ٩٨/٥ ) .

(٢) أبو يوسف بن أسباط : فى الأصل هكذا ، ولعله يوسف بن أسباط بن واصل الشيبانى الكوفى الصوفى أحد أئمة الزهَّاد والعُبَّاد . ( انظر : صفة الصفوة لابن الجوزى ٢٦٣/٤ رقم ٧٩٣ ، حلية الأولياء ٢٣٩/٢٣٧/٨ ) .

(٣) ( انظر : الخير فى الحلية ٢٤٠/٨ ) .

(٤) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله . ولد سنة ٩٧ هـ : أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى ، وخرج من الكوفة ( سنة ١٤٤ هـ ) فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدى فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب : « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » كلاهما فى الحديث ، وكتاب فى « الفرائض » . وكان آية فى الحفظ ، من كلامه : ما حفظت شيئاً فنسيته ، ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه .

(٥) هو : محمد بن على بن جعفر الكتانى ، إمام بغدادى ، زاهد ، متصوف سكن مكة . ( انظر : حلية الأولياء ٣٥٧/١٠ رقم ٦٣١ ) .

عن حظ نفس ، وارتعاد [١] من خوف قطيعة ، أفضل من عبادة الثقلين .
وقال يحيى بن معاذ [٢] : لو سمع الخلائق صوت النائحة على الدنيا فى الغيب من ألسنة الفنا تساقطت القلوب منهم حزناً ، ولو رأت القلوب بعين الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس خوفاً . ولو أدركت القلوب كنه [٣] محبة خالقها لتخلعت مفاصلها ولهاً ، ولطارت الأرواح من أبدانها دهشاً [٤] .
سبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء .

يا ذاهباً فى شططه ، يا واقفاً مع غلطه ، يا معترضاً لعقوبة الأحد ، ما سخَّطه ؟ يا معرضاً عن الاعتبار سمعه ، يا مُطْلِقاً لسانه فى غلطه ، يا من لا يفرق بين صحيح القول وسَقْطِهِ ، أما له عبرة بقرطبة ؟ أما هناك استدراك لفارطه ، إلى متى على قبيح غَطِّه [٥] ؟ هلَّا عَبَّأ متاعه فى سقطه ، أَلا حَذَّر مَنْ فى يد طاهى ، كلَّا لو صحا لاتَّعَظ وأثَّر فيه اللوم وازدجر ، لكنه فى غاية الغِلَظ ، أفسدته المعاصى فلم يظهر الشيب ، وانقرض لا يلتفت إلى من لام ولا من وعظ ، سيندم على تضييع ما كان احتفظ ، سَيَفِرُّ العلاج إذا زادت الكظظ [٦] ، سيخرس لسان طال ما لفظ ، من لم يبق من عمره إلَّا الأمل ، وهو للوزر العظيم قد حمل وأثقل ، سيعرض عليك من المعاصى ممَّا دَقَّ وَجَلَّ ، تراعى الخلق وتَنْسَى حَقَّهُ عَزَّ وجَلَّ ، قد سَوَّد صحيفته وملأها من قبيح العمل ، حملت عليه الأمانة فتغافل عنها وَضَلَّ ، يُدْعَى إلى الاستقامة ، وكلَّما قُوِّمَ ذَلَّ ، لا يعرف ولا يقبل ، قد حَلّه رحلة ، نحلة مناحلها من حلّ ، قد غَرَّه مَكْرُ سَوْفَ ، وأوثقه قيد لَعَلَّ ، إلام تمنى النفس ما لا تناله ؟ وتذكر عيشاً لم يعد متصرماً ، وقد قالت السبعون للهرى : دعانى لشأنى واذهبا حيث شئتما .

---

(١) **ارتعاد** : ارتعاش واضطراب .

(٢) هو : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى أبو زكريا : واعظ ، زاهد لم يكن له نظير فى وقته ، من أهل الرِّى . أقام ببلخ ، ومات فى نيسابور ، له كلمات سائرة ، منها : ( هان عليك من احتاج إليك ، اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : العلماء الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ) .

(٣) **كنه** : إدراك الحقيقة .   (٤) روى أبو نعيم نحوه فى الحلية مختصراً ١٠/٥٦ .

(٥) **غطه** : شدة نومه .   (٦) **كظ الطعام والشراب** : ملأه حتى لا يكاد يطيق النفس .

الفصل الثامن

# امقت نفسك وازدرها

**إخـواني** : مَنْ تفكَّر فى ذنُوبه تاب ورجع ، وَمَن تَذكَّر قبيحَ[1] عُيوبه ذَلَّ وتواضع ، وَمَن عَلِمَ أنَّ الهَوَى يسكن تَصَبَّر ، وَمَن تلمح إساءَته لم يَتَكبَّر .

**كان يزيد الرقاشي يقول** : والهفاه ، سَبَقَ العابدون وقُطَع بى ، وكان قد صام اثنين وأربعين سنة . وقال حذيفة المرعشى[2] : لو أصبت من يبغضنى حقيقة ، لأوجبت على نفسى حُبَّهُ .

**فيا أيُّها العبد** ، عُدْ على نفسك باللوم والمَقْتِ ، واحذرها ، فَكَمْ ضَيَّعَتْ عليكِ من وقت ؟ واندم على زمان الهوى ، فمن كِيْسِكَ أَنْفَقْتَ ، ونادِها يا مَحِلَّ كل بلية فقد والله صدقت .

**روى وهب بن منبه**[3] : أن رجلًا صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدى عشرة تمرة ، وطلب حاجة من الله فلم يعطها ، فأقبل على نفسه فقال : من قبلكِ بُليت ، لو كان فيك خيراً أُعطيت ، فنزل إليه ملك فقال : إن ساعتك هذه التى ازدريت فيها على نفسك خير من عبادتك ، وقد أعطاك الله حاجتك .

**وقال فضيل بن عياض**[4] : أخذْت بِيَد سفيان بن عيينة[5] فى هذا

---

(١) فى « ب » : جميع ، وهكذا فى الأصل « أ » .

(٢) هو : حذيفة بن قتادة المرعشى . ( انظر : صفة الصفوة ٢٦٩/٤ رقم ٧٩٦ ) .

(٣) وهب بن منبه بن كامل اليمانى أبو عبد الله الأبنادى ، الإمام العلَّامة الأخبارى القصصى مات سنة بضع عشر ومائة .

( انظر : الحلية ٢٣/٤ ، شذرات الذهب ١٥٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤ ) .

(٤) الفضيل بن عياض ( سبق ترجمته ) .

(٥) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى ، أبو محمد : ولد سنة ١٠٧ هـ ، مُحَدِّث الحرم المكى ، من الموالى . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفى بها ، كان حافظاً ، ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور ، وحج سبعين =

الوادى ، فقلت له : إن كنت تظن أنه قد بقى على وجه الأرض شرٌّ منّى ومنكَ ، فبئس ما ترى . وقال رجل لأبى الحسن الموسمى : كيف أنت ؟ فقال : خفيت أضراسى من أكل نعمة ، وكَلَّ لسانى من كثرة ما أشكوه .

**يا واقفاً مع هواه وأغراضه** ، يا معرضاً عن ذِكْر عَوَارضه إلى أعراضه ، يا غافلاً عن الموت وقد جَدَّ بِمِقْرَاضِهِ (١) ؛ وعلم اندباغ عمر أغراضه ، سيعرف خبره إذ أحاط به أشد أمراضه وأخرج من خضرات الديار وروضه ، وألقى فى لحد وحيد يخلو برضراضه (٢) ، وَعَلِمَ أَنَّه باع أغراضه (٣) ، يا من بالهوى كلامه وحديثه ، وفى المعاصى قديمه وحديثه ، وعمره فى خطايا خفيفه وَأَثِيثه (٤) ، من له إذا أُلْحِد فى قَبْرِهِ من يُغِيثُهُ ، مَنْ لَهُ إذا خَامَت (٥) حول حماه (٦) الرَّدى (٧) ليوثه ، مَنْ له من كَرْبٍ لا يُرحم عِطَاشه ، مَنْ لَهُ مِنْ جحفل (٨) لا يهدم كباشه (٩) ، مَنْ له مِنْ لَحْدٍ لا يدفع حشاشه (١٠) ، مَنْ له مِنْ جَدثٍ (١١) عَمَلُه فيه فِرَاشُه ، مَنْ له مِنْ قَبْرٍ فعل فيه معاشه ، مَنْ له مِنْ موقف لا يُرَدُّ بَطَّاشه ، مَنْ له يومئذ ، ولا يتوى نجاشه (١٢) ، مَنْ له مِنْ حساب عقاب رذاذه (١٣) يُرْدِى ورشَّاشه (١٤) ، من يُخَلِّصه اليوم من هوى

---

= حجة ، توفى سنة ١٩٨ هـ . ( انظر : الأعلام ١٠٥/٣ ) .

(١) **المقراض** : المقص ، وهو ما يُقرض به الثوب أو غيره .

(٢) **الرضرض** : الحصى الصغار فى مجارىْ المياه . (٣) فى « أ » : عمر أعراضه .

(٤) **أثيثه** : ثقيله ، يقال : أثث المرأة أثًّا : امتلأ جسمها وتمّ قوامها .

(٥) **خامت** : طاقت . (٦) **حماه** : المشىء المحمى أو المحارم .

(٧) **الردى** : الموت . (٨) **الجحفل** : الجيش الكثير .

(٩) **الكبش** : من معانيها : آلة من آلات الحرب كانت تستعمل فى الحصار لقذف الحصون ، جمعها ( أكبش ، وأكباش ، وكباش ، وكبوش ) .

(١٠) **حش الحرب** : أضرم نارها ، ويقصد : أن القبر لا يستطيع أحد أن يمنع عذابه .

(١١) **الجدث** : القبر .

(١٢) **النجّاش** : الرجل القدير على استخراج بواطن الأشياء والأُمور .

(١٣) **الرذاذ** : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغبار .

(١٤) **رشَّت السماء رشا** : أمطرت .

قد أسرته رشاشه ، كم عاهد ونكث ، كم آثر الهوى وعبث ، كم غَرَّهُ غرير بالسَّحر قد نفث ، تالله لقد بولغ فى توبيخه وما اكترث ، ولقد بُعِثَ إليه[١] ، ولقد بَعِثَ إليه النذير وما يرى من بَعَثَ ، قلبه مشغولٌ بالهوى ولسانه بالرفث[٢] ، كلَّما[٣] أَصْبَحَ معاهداً وأمسى[٤] نَكَث ، ظاهر صحيح وباطن قبيح خبيث ، سيندم يوم الضريح من القبيح حرث[٥] ، سيبكى ندمان الهوى يوم الظَّمأ عند اللهث ، سيعرف حيرة المعاصى إذا حَلَّ الحدث ، سيرى سيره إذا ناقش السائل أو بحث ، سيفرغ السن[٦] ندماً إذا نادى وَلِمَ بعث ، عجباً لجاهل باع تعذيب النفوس براحات الجثث[٧] ، القلب أسير[٨] بالحزن ، والدمع غزير بالشجن[٩] ، والْفِكَر يذيب القلب ، فما مثل الفكر على البدن ؟! ، كَمْ بِثُّ ودمعى[١٠] منهم لم يذرأ فى وجدى ثمن ؟ واهاً لزمان طاب لنا وما أسرع ما ولى وفنى ، ما غردت الوراقى[١١] على غصن إلَّا وأهاجت حزنى ، يا عينى أعينى[١٢] قلباً قلقاً بالدمع ؛ ليطفى نار الشجن أصبحت أسيراً فى خطئى ، وذنوبى قد ملأت بدنى ، أبكى زللى أبكى خللى ، أبكى عملى كى يرحمنى ، من لى يوم الشِّدَّةِ يُنقذنى ، من كَرْبِ الموت يُخَلِّصُنى ، ونزلت وحيداً فى جَدَث ، قفر وكأنى من لبن[١٣] ، أين الأَقْرَان وما قُرِنُوا ؟ بالموت جميعاً فى

---

(١) أظنها : مكررة خطأً من ناسخ « أ » .

(٢) **الرَّفث** : التصريح بالكلام القبيح ، أو هى كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة على سبيل الاستمتاع بها من غير كناية .

(٣) فى الأصل « أ » : كما . (٤) فى الأصل « أ » : أمسى .

(٥) **حـرث** : زرع ، وحرث الشيء : بحث فيه وعُنِىَ به .

(٦) **استنت العين** : انصب دمعها . (٧) أى الأجسام .

(٨) فى الأصل « أ » : ( السير ) . (٩) **الشـجن** : الحزن .

(١٠) فى الأصل « أ » : ( دمعى ) .

(١١) **الوراقى** : الحَمام ، مفردها ورقاء . (١٢) **أعينى** : ساعدى بالدموع .

(١٣) **اللـبِنُ** : المضروب من الطين ، يبنى به دون أن يُطْبَخ ، وفى « أ » : من البنى .

قرن (١) ، كم سرت على ربع (٢) لهم ، وأطلت مسائلة الزمن [ يا دار حبيبى : أين هم عهدى بهم قبل المحن ؟ قالت لى دارهم : دارت بهم أمانى الزمن ] (٣) ، أسرتهم قوة (٤) فهم أُسراء الحيرة والحزن ، تركوا المال لغيرهم ، ولم يصحبهم غير الكفن ، تالله لقد سئلوا عمّا قد كانوا فيه من النِبتَنِ ، فَتَيَقَّظْ قبل لِحَاقِهم ، من طول الرقدة والوسن (٥) .

* * *

(١) **فى قرن** : فى جمع ، أى فى مكان واحد مجموعون فيه .
(٢) **الربع** : الموضع ينزل فيه زمن الربيع .
(٣) غير موجودة فى النسخة « أ » .
(٤) هكذا فى « ب » ، وفى « أ » : أسرى بهم فعدوا سرَّ الحيرة والحزن .
(٥) **الوسن** : النعاس .

الفصل التاسع

# سارع إلى الجنة

**إخـواني** : لقد خاب من باع باقياً بفان ، وخطر[(١)] فى ثوبى متوان[(٢)] ، وتغافل عن أمر قريب كان ، وضَيَّعَ يوماً موجوداً فى تأميل ثان ، أما الجنَّة تشوقت لطالبيها ، وتزينت لِمُرِيديها ، ونطقت آيات القرآن بوصف ما فيها[(٣)] ، وملأت أسماع العباد أصوات واصفيها ، كأنكم بالجنة وقد فُتِحَتْ أبوابها ، وَتَقَسَّمُها يوم القيامة أصحابها ، وغنت ألسن الأمانى قريب[(٤)] قبابها .

بشـرها دليلهـا وقـالا : غداً ترين الطلح والجبالا[(٥)]

روى أبو هريرة[(٦)] رضى الله عنه قال : « **قلنا : يا رسول الله ، حَدِّثْنَا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لَبِنَة من ذَهَبٍ ولبنة من فضة : ملاطها[(٧)] المسك الأذفر ، وحصباؤها الياقوت والجوهر ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه** »[(٨)] .

روى أُسامة بن زيد[(٩)] عن النبى ﷺ أنه قال يوماً :

---

(١) خطر فى مشيته : مشى مبختراً .

(٢) متوازن : متكاسل .

(٣) فى « أ » : بوصفها فيها .

(٤) فى « أ » : قربت .

(٥) فى « أ » أول كلمة بالبيت : شرها ، والبيت من بحر الرجز .

(٦) أبو هريرة رضى الله عنه سبقت ترجمته .

(٧) فى « أ » : وبلاطها .

(٨) رواه أحمد ٣٠٥/٢ والترمذى ( ٢٥٢٨ ) والدارمى ٣٣٣/٢ ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ( ٣١١١ ) وتخريج المشكاة ( ٥٦٣٠ ) .

(٩) هو : أسامة بن زيد بن حارثة ، من كنانة عوف ، أبو محمد ، صحابى جليل . ولد بمكة سنة ٧ ق هـ ، ونشأ على الإسلام ، ( لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً ) وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًا جمًا ، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين ، وهاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة ، =

« ما ذَكَر (١) الجنة إلَّا مُشَمِّرٍ (٢) إليها ، هي ورب الكعبة نُور يَتَلَأْلأُ ، ونهر مطروز ، وزوجة لا تموت ، وحُبور ونعيم ، مقام أبداً ، فقالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله ، فقال : قولوا : إن شاء الله » (٣) .

روى سهل بن سعد (٤) عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وإن جَنَّة الفِرْدَوس ، وسطها وأعلاها سماء ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، ومنها تُفَجَّرُ أنهار الجنة ، قال رجل : فداك أبي وأمي (٥) يا رسول الله ، فيها خيل ؟ قال : نعم ، والذي بعثني بالحق إن فيها لخيلاً من ياقوت أحمر ، يروث بين خلال ورق الجنة ، يتراءون عليها ، فجاء رجل فقال : بأبي وأمي فداك ، هل فيها صوت (٦) ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده إن الله عز وجل يوحي إلى شجرة في الجنة أن أَسْمِعِي عِبادي الذين شغلهم ذكرى في الدنيا عن عزف المزاهر والمزامير بالتسبيح والتقديس » (٧) .

**يا نفس** : بادري بالأوقات قبل انصرامها ، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها ، فَكَأَنَّكِ بالقبور وقد تَشَقَّقت وبالأمور وقد تَحَقَّقَتْ ، وبوجوه المتقين ، وقد أشرقت ، وبرءوس العصاة وقد أطرقت .

**يا نفس** : أما الوَرِعُون فقد جَدُّوا ، وأما الخائفون فد اسْتَعَدُّوا ، وأما الصالحون فقد راحوا ، وأمَّا الواعظون فقد صاحوا .

---

= وأَمَّرَهُ رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، فكان مُظَفَّراً موفَّقاً . ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أُسامة إلى وادي القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق في أيَّام معاوية ، فسكن المزة ، وعاد بعد ذلك إلى المدينة ، فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية سنة ٤٠ هـ . له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً ، وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله ﷺ استعمل أُسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر .
( انظر : الأعلام ٢٩١/١ ) .

(١) في الأصل : وذكر . (٢) **مشمر** : أي مستعد .

(٣) رواه ابن ماجه كتاب الزهد (٣٩) . (٤) سهل بن سعد ، في الأصل : سهل بن سعيد .

(٥) في الأصل : بأبي وأمي فداك . (٦) **صوت** : أي غناء .

(٧) بألفاظ قريبة منه . ( انظر : صحيح ابن ماجه للألباني كتاب الزهد ٣٩ ، وصحيح سنن الترمذي للألباني / ٢٥٣٠ أبواب صفة الجنة ، البيهقي ١٥/٩ ، ١٥٩ ، تفسير الطبري ٣٠/١٦ ، مشكاة ٥٦٣٢ ، الدر المنثور ٢٥٤/٤ ) .

**يا نفس** : اتعبى قليلاً تَسْتَريحِى فى الفردوس كثيراً ، كأنك بالتعب قد مضى ، وبحرصِكِ من اللعب قد مضى ، وثمر الصبر قد أثمر حلاوة الرضا ، لا يطمعن البَطَّال فى إدراك الأبطال ، هيهات أن يُدْرِكَ البطل المجتهد من غاب حين النزال فما شهد حُفَّت الجنة بالمكاره فلا يوصل إليها إلَّا[1] بالمضض[2] ، كذلك كل محبوب يلذ ، وكل عرض من غير مشقة ، وإلَّا[3] ، متى لم يبعد على طالبِ المشقة :

العلم لا يحصل إلَّا بالنصب ، والمال لا يجمع إلَّا بالتعب ، واسم الجواد لا يناله بخيل ، ولا يُلَقَّبُ بالشُّجاع إلَّا بعد تعب طويل .

لولا المشقة ساد الناس كلهم  الجود يفقر والإقبال قتَّال[4]

**أيُّها العبد** : إن عَزمت فَبَادِرْ ، وإن هَمَمْتَ فثابر ، واعلم أنه لا يُدْرِكُ المفاخر ، من كان فى الصَّفِّ الآخر .

سلع المجد كاسدة ، وكأن قد غَلَتْ ، ومراعى الفضل قريبة ، وكأن قد عَلَتْ ، وكأَنَّك بغايات الغَفَلات قد انجلت ، فأصبحت حلاوة البطالة من أفواه الغافلين قد رَحَلَت ، وأصبحت رايات المجاهدين قَدَ حَلَتْ ، وتفاوت فى السِّبَاق مضمار[5] وبطين[6] ، كما تفاوت فى الإحراق ماء وطين .

لا تحسب المجد تَمْراً أَنْتَ آكله  لا تبلغ المجد حتى تَلْعَق[7] الصبرا[8]

فاصبر للبلايا فحينها[9] يسير ، وأثبت للرَّزيا فأجرها كثير ، وأحسن قِرَى ضيف الهَمِّ بالصبر الغزير ، وتَجَلَّد على الظمأ فبين يديك ماءٌ غَبِرٌ[10] .

---

(١) فى « أ » : هاولاى .
(٢) بالتعب .
(٣) فى « أ » : وإنى .
(٤) البيت من بحر الكامل .
(٥) **مضمار** : المكان الذى تضمر فيه الخيل أو تتسابق ، وضمر الخيل : رَبْطُهُ وعلفه وسقايته كثيراً ، وركضه فى الميدان حتى يخف ويدق ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً .
(٦) **بطين** : عظيم البطن .
(٧) **لعق** : لحس بلسانه .
(٨) البيت من بحر الكامل
(٩) **حينها** : وقتها .
(١٠) معكر .

لا تجـزعن من المنـايا إذا أتت    واصـبر لـما تـأتى به الأقـدار
وغدا الصبور يَجُرُّ ذيل سروره    فى جَنَّـةٍ من تحتهـا الأنهَـار
فكأَنْ قد انكشفت غيايات البـلا    وانجـابت الآفـات والأكـدار (١)
وجرى الجزوع لما جَنَى ثَمَرَ الأَسَى    فجـرى بلَا أجـر لـهُ المقـدار
إنِّى رأيت معـاشراً لم يفهمـوا    معنى الوجود فأصبحوا قد حاروا
دنيـاك دار للبـلايا مهـدت    ووراء ذلك إن عقلت نهار (٢)

* * *

(١) غير موجود هذا البيت فى النسخة « أ » وموجود فى « ب » .
(٢) الأبيات من بحر الرجز .

الفصل العاشر

# جَاهِدْ نفسَكَ

**أيُّهــا العبد** : حاسب نفسك فى خلوتك ، وتَفَكَّر فى انْقِرَاضِ مُدَّتِكَ ، واعمل فى زمان فراغك لوقت شِدَّتِكَ ، وَتَدَبَّر قبل الفعل ما يُمْلَى فى صحيفتك ، وانظر : هل نفسك معك أو عليك فى مجاهدتك ، لقد سَعد من حاسبها ، وفاز والله من حاربها ، وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها ، وكلما وَنَتْ [١] عاتبها ، وكلما تواقفت جذبها ، وكلما نظرت فى آمال هواها غلبها .

قال عليه الصلاة والسلام : « **الكَيِّسُ من دَانَ نَفْسَه وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ ، والعَاجِزُ من أَتبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى على الله الأَمَانِى** » [٢] .

**وقال عمر بن الخطاب** رضى الله عنه : « حَاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا ، وطَالِبوا بالصِّدق فى الأعمال قبل أن تُطَالَبُوا ، وَزِنُوا أعمالَكُم قبل أن تُوْزَنُوا ، فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً ؛ وتزينوا للعرض الأكبر : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [٣] » [٤] .

**وقال الحسن البصرى رحمه الله** : « أَيْسَرُ الناسِ حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عَزَّ وجَلَّ فى الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم ، فإن كان الذين لله هموا بالله وإن [ كان [٥] ] عليهم أمسكوا ، وإنما يثقل

---

(١) ونت : عجزت .

(٢) رواه أحمد ١٢٤/٤ والترمذى ( ٢٤٦٩ ) وابن ماجه ( ٤٢٦٠ ) وفى إسناده أبو بكر بن أبى مريم ضعيف ، كما فى التقريب ، وضعفه المناوى فى فيض القدير .

(٣) سورة الحاقة ، الآية ١٨ .

(٤) رواه أحمد فى الزهد ٣/١ ، والبيهقى فى الزهد ص ٤٥٩ وأبو نعيم فى الحلية ٥٢/١ وإسناده صحيح .

(٥) غير موجودة فى « أ » .

الحساب على الذين أهملوا الأُمور ، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا : ﴿ **يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا** ﴾ [1] » .

**وقال أبو بكر البخارى** [2] : « من نَفَرَ عن الناس قَلَّ أَصْدِقَاؤه ، ومن نَفَرَ عن ذُنُوبه طَالَ بُكَاؤه ، ومن نَفَرَ عن مطعمه طال جوعه وعناؤه ، ونقل توبة بن المعلم [3] أنه نظر يوماً وكان محاسباً لنفسه ، فإذا هو ابن ستين إلّا عاماً ، فحسبها أيّاماً ، فإذا هى إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة [4] يوم فصرخ وقال : ياويلتى ! ألقى المليك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب ، فكيف ولى فى كل يوم عشرون ألف ذنب ؟ ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت ، فسمعوا هاتفاً يقول : يالها من ركضة إلى الفردوس الأعلى .

**إخوانى** : المؤمن مع نفسه لا يتوانى [5] عن مجاهدتها ، وإنما يسعى فى سعادتها ، فاحترز عليها واغتنم لها منها ، فإنها إنْ عَلِمَتْ مِنْكَ الجِدَّ جَدَّتْ ، وإن رأتك مائلًا عنها صَدَّتْ ، وإن حثها الجد بلحاق الصَّالحين سَعَتْ وَقَفَتْ [6] ، وإن تَوَانَى فى حقها قليلًا وَقَفَتْ ، وإن طالبها بالجد لم تلبث أن صفت وأنصفت ، وإن مال عن العزم أماتها ، وإن التفت عربدت ، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة ، من رأى التناهى فى المبادى سلم ، ومن رأى التناهى هلك ؛ لأن مشاهدة التناهى تقصير أمله ، ومشاهدة المبادى فى التناهى تُسَوِّف عمله ، وفى الجملة : من راقب العواقب سلم .

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٤٩ . (٢) فى « أ » : النجار .

(٣) هكذا فى الأصل ولعله ثوبة بن الصمة وذكر الجوزى فى كتاب صفة الصفوة ١٩٦/٤ الخبر نفسه ترجمة رقم ٧٣٤ فانظره .

(٤) هى فى الحقيقة : ٢١٥٥٤ يوماً ، أى أكثر من ٢١٥٠٠ .

(٥) يضعف . (٦) اتبعت الآثار .

◎ **يا هـذا** : هِلال الهدى لا يظهر فى غيم الشبع ، ولكن يبدو فى صحو الجوع وترك الطمع ، واحذر أن تميل إلى حب الدنيا فتقع ، ولا تكن من الذى قال : سمعت وما سَمِعَ ، ولا مِمَّنَ سوَّف يومه بِغَدِهِ فمات ولا رَجَعَ ، كلَّا لَيَنْدَمَنَّ على تفريطه وما صَنَعْ ؛ وَلَيَسْأَلَنَّ عن تقصيره فى عمله وما ضَيَّع ، فيا لها من حسرة وندامة وغُصَّةٍ[1] تُجْرَع ، عند قراءة كتابه وما رأى فيه وما جَمَعْ ، فبكى بكاء شديداً فما نفع ، وبقى محزوناً لما رأى من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سَمِعْ ، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا البكاء ولا الجزع .

* * *

(١) **الغُصَّة** : ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب .

## الفصل الحادى عشر

# احذر النار

**إخوانى** : لقد خابَ من آثر شَهْوَةً من حَرَامٍ ، فإنَّ عُقْبَاها تَجَرُّع حَمِيم آن [١] ، وخسر – والله – من أطلق نفسه فيما تريد ، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد ، وهلك كل الهلك وبار كل البوار ؛ من اشترى لذة ساعة بعذاب النار .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى ﷺ : « **أُوقِدَ عَلَى النَّار أَلفَ سنةٍ حتى احْمَرَّت ، ثم أُوقِدَ عليها أَلْفَ سَنَةٍ حتى ابْيَضَّت ، ثم أُوقِدَ عليها أَلْفَ سنةٍ حتى اسْوَدَّت ، فهى سوداء مظلمة** » [٢] .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **ناركم هذه مِمَّا يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من جهنم** » [٣] .

وروى ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، يجرونها** » [٤] .

**وقال وهب بن منبه** [٥] : إذا سيِّرت الجبال ، فسمعت حسيس النار ،

---

(١) **حميم آن** : نحاس مذاب من شدة حرارته .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب صفة جهنم ( ٢٥٩٤ ) وضعفه عبد القادر الأرناءوط فى تخريج جامع الأصول ١٠/٥١٣ .

(٣) رواه البخارى ( ٦/٢٣٨ ) فى بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ورواه مسلم ( ٢٨٤٣ ) فى صفة جهنم باب شدة حر نار جهنم .

(٤) أخرجه الحاكم ٤/٥٩٥ وتلبيس إبليس ٣٤٣ .

(٥) هو : وهب بن منبه الأبناوى الصنعانى الذمارى ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيليات ، يعد من التابعين . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وأُمه من حِمير ، ولد سنة ٣٤ هـ بصنعاء ، وولاه عمر =

نقيضها وزفيرها وشهيقها ، صرخت الجبال كما تصرخ النساء ، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضاً .

وفى المسند عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام ، وإن غِلْظَ جِلْدِهِ سبعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أُحُد** »[1] .

وروى الزهرى[2] عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إن الحميم ليصب على رءوسهم ( فينفذ الحميم )[3] حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما فى جوفه ، حتى يمرق[4] من قدميه[5] ، وهو[6] الصهر ثم يعاد كما[7] كان** »[8] .

**وقال أبو موسى** : أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت .

لله دَرُّ أَقْوامٍ أَذْهَبُوا أعمارهم فى طلبى وأتعبوا أعضاءهم فى فرضى

---

= ابن عبد العزيز قضاءها ، وكان يقول : سمعت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس ، وعشرون فى أيدى الناس ، لا يعلمها إلّا قليل ، ووجدت فيها كلها : أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . واتهم بالقدر ورجع عنه وألَّف فيه « كتاباً » ثم ندم عليه ، وحبس فى كبره وامتحن وله قصص الأنبياء ( مخطوط ) وغيره . توفى سنة ١١٤ هـ .
( انظر : الأعلام ١٢٥/٨ - ١٢٦ ) .

(١) أى جبل أُحد ، والحديث أخرجه أحمد ٢٦/٢ وسنده ضعيف ، لأن فيه أبا يحيى القتات واختلفا فى اسمه ، وقال الحافظ في التقريب : لين الحديث .

(٢) الزهرى : هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، من بنى زهرة بن كلاب من قريش ، أبو بكر ، ولد سنة ٥٨ هـ . أول من دوَّن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعى ، من أهل المدينة . كان يحفظ ألفين ومائتى حديث ، نصفها مسند ، وعن أبى الزناد : كنا نطوف مع الزهرى ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع . نزل الشام واستقر بها ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمَّاله : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسُّنَّةِ الماضية منه . قال ابن الجزرى : مات بشغب آخر حد الحجاز ، وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ .
( انظر : الأعلام ٩٧/٧ ) .

(٣) ساقطة فى الأصل .

(٤) فى الأصل : « عرق » وما ذكرناه هو الصحيح .

(٥) فى الأصل : « قدمه » .

(٦) فى الأصل : « وهو فى » .

(٧) فى الأصل : « إلى ما » .

(٨) الحديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف ، وانظر مشكاة المصابيح ١٥٨١/٣ برقم ٥٦٧٩ .

وواجبى وَقَطَعُوا قواطعهم لِأَجْلِ التَّعَلُّق بى ، وحلموا عن الجهال [1] خوفاً من غضبى ، فإذا مَرُّوا على النار ، قالت : جَزْياً يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى .

إذا رأت النار من جاهد بالخير ، وما خافت خافت ، وإذا شاهدت نفوساً طال ما صافت صافت ، وإذا عاينت أجساماً ما نبتت من الحرام وعافت عافت .

هلَّا تشبهت يا هذا بهؤلاء القوم ، هلَّا تَنَبَّهْتَ من هذا الرُّقَاد والنوم ، وأنت وقت العشاء نائم ، وقلبك فى حبِّ شهوات البهائم [ هائم [2] ] ، قُلْ للذى ألجأه عاجل لهوه عن حظه ، يحكى البهائم هائماً : أمسنا الفنا ، خذ حكمة تخصنا بها ؛ فانظر ولا تبغ الفنا يا نائم ،

**يا هذا** : المحب يُطْرَدُ فلا يزول وأنت تُدْعى فلا تجب .

كم ليلة ينادى ــ وأنت غائب ــ : هل من سائل ؟ هل من تائب ؟

فإن تمنعوا منِّى السَّلام فإننى　　لَغَادٍ على حيطانكم فَمُسَلِّمُ [3]

رحم الله عظماً طالما نُصِبَتْ وانْتَصَبَتْ ، فإذا جَنَّ الليل عليهم فتمكن وثَبَتْ وَثَبَتَ ، إن ذَكَرَت عَدْله رهبتَ وهربتَ ، وإن تَفَكَّرَت فضلَه فَرِحَت وَطَرِبَت ، اعترف عن طاعته أنها قد أذنبتْ ، وقامت شاكرة لمن جمعها على إحسانه فَنَبَتْ ، لاحت لها ذنوبها فبكت عليها وندبت وصاحت بها ألسن الغفران ؛ فاهتزت وربت :

قِفْ بالديار فهذه آثارهم　　تبكى الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وتشوُّقَا
كم قد وقفت بها أُسائل مخبراً　　عن أهلها أو صادقًا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها　　فارقت من تهوى فعزَّ الملتقى
طرق الخيال وقال لى يا مُدَّعى　　أَتَنَامُ بعد فراق جيران اللقى ؟
وحياتكم قسماً بأنى صادق　　لا طاب لى من بعدكم فيكم بقا
يا سادة مذ حملوا أجمالهم　　ما أورثونى بعدهم إلَّا الشقا [4]

---

(1) فى الأصل : الجبال .
(2) ساقطة من الأصل « أ » .
(3) البيت من بحر الطويل .
(4) الأبيات من بحر الكامل .

أترى الأرض خلت منهم أم لم ترهم ، كلَّا لو وصفت أعمالهم [1] عرفناهم ، أما [2] الأحياء منهم ، فالقطرة تجرى مجراهم ، أما أمواتهم فمعنى الأحبار معناهم .

قف يا هذا على قبورهم ونادهم ، واستنشق ريح فضلهم ، فهل المعانى فى اجتهادهم ضائر الرَّيحان معهم فى وسادهم :

كم قد وقفت وأحبابى بمنزلة تبيت يقظاناً ولهاناً وأهلاناً
فهاجها حين حيَّانا النسيم بما سقيا وألقى بالجرع حينا
نبكى فيسعدنا كور المطى فهل نحن المُشَوَّقُون فيها أم مطايانا
ولا من قطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لشكوانا

* * *

(١) فى الأصل « أ » : أعمالنا .
(٢) فى الأصل « أ » : أم .

الفصل الثاني عشر

# عليك بالخوف من الله

**إخواني** : من علم عظمة الإله زاد وجله[(١)] ، ومن خاف نقم ربه حسن عمله ، فالخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه ، وهو نعم المؤدب للمؤمن ويكفيه .

**قال الحسن**[(٢)] : صَحِبْتُ أقواماً كانوا لحسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أخوف منكم من سيئاتكم أن تعذبوا بها . ووصف يوسف بن عبد الحسن[(٣)] فقال : كان إذا أَقْبَلَ كأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس كأنه أسير من[(٤)] يُضْرَبُ عُنُقه ، وإذا ذكرت النار فكأنما لم تُخْلَقْ إلَّا لَهُ .

وكان سميط إذا وُصِفَ الخائفون يقول : أتاهم من الله وعيد وفدهم ، فناموا على خوف وأكلوا على تَنَغُّص .

واعلم أن خوف القوم لو انفرد قتل ، غير أن نسيم الرجاء يروح أرواحهم ، وتَذَكُّر الإنعام يحيى أشباحهم .

ولذلك روى : « **لو وُزِنَ خَوْفُ المؤمن ورجاؤه لاعتدلا** »[(٥)] .

فالخوف للنفس سائق ، والرجاء لها قائد ، إن وَنَتْ[(٦)] على قائدها حثها[(٧)] سائقها ، وإن أبت[(٨)] على سائقها حركها قائدها مزيح الرجاء يُسَكِّنُ حَرَّ الخوف ، وسيف الخوف يقطع سيف — سوف — وإن تَفَكَّرَ فى

---

(١) **وجله** : خوفه .

(٢) أى الحسن البصرى .

(٣) هكذا .

(٤) هكذا وأظن من زائدة .

(٥) الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة للسيوطى - الحلب ١٣٣ ، الأسرار الموضوعة فى الأخبار الموضوعة رقم ٧٥٧ ، وقالوا : لا أصل له ولكن أثر عن السلف .

(٦) **ونت** : ضعفت .

(٧) **حثها** : استحثها للمسير .

(٨) **أبت** : امتنعت .

الإنعام شكر وأصبح لِلْهَمِّ قد هجر ، وإن نظر فى الذنوب حذر ، وبات جوف الليل يعتذر ، وأنشد :

أظلت علينا منك يومًا سحابة أضاءت لنا برقًا وأمطرتنا
فلا[1] غيمها فيائس طامع ولا غيثها باقى ، فيروى عطاشها

* * *

(١) هكذا وأظنها فأما .

الفصل الثالث عشر

# عليك بحب الله

**إخوانى** : الموت فى طريق الطلب : خير من العطب [1] فى طريق البطالة ، ما هذا ؟! أَدِمْ السَّهَر والصوم ، وخلّ لأربابه طُول النَّوْم ، وَشَمِّرْ فى لحاق القوم ، فإذا وصلت إلى دوائك : أنخت بجناب ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ [2] ، وإن مِتَّ بدائك : فمقابر الشهداء ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ [3] .

**يا هـذا** : عليك بإدمان الذِّكر ، لعل ذكرك القليل ينمى ذكره الجليل ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ** ﴾ [4] ؛ أنا جليس من ذَكَرَنى . لا تعجز عن حَفْرِ ساقية وإن ربت ، فإنك إذ ألحقتها بساحل البحر فاض من ماء البحر إليها فصارت دِجْلة ، أَخْلِصْ فى ذكرك لعله يذكرك .

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه كان يسير فى طريق مكة فَمَرَّ على جبل يقال له : حمدان ، فقال ﷺ : « **سيروا سَبَقَ الـمُفَرِّدُونَ ، قالوا : وما الـمُفَرِّدُونَ يا رسول الله ؟ قال : الذَّاكِرُونَ الله كثيراً والذاكرات** » [5] .

روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أن الله تعالى يقول : « **أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه** » [6] .

وقال أبو الدرداء : الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله تعالى يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

يا هـذا : من علامات المحب انزعاجه عند ذكر محبوبه .

---

(١) **العطب** : الهلاك . (٢) سورة يونس ، الآية ٢ . (٣) سورة القمر ، الآية ٥٥ .
(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ . (٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .
(٦) رواه أحمد ٥٤٠/٢ الإتحاف ابن عساكر ١٢٠/٧ .

لو أحببت شخصاً من أهل الدنيا فسمعت باسمه لانزعج باطنك ، أما سمعت أن مجنوناً أحب مخلوقاً فلما ذُكِرَ انزعج ، فقال :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى فهَيَّج أحزان الفؤاد ولم يدر
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بقلبى طائراً كان فى صدرى [1]

وهذا ذِكْرُ الله يُتْلَى عليك وما تتغير ، وَكَمْ تَسْمَع من أوامره ونواهيه ولا تَتَدَبَّر ، وقد يَسَّره الكريم على من اجتهد فيه ، وما عسر ، وَكَمْ من نظر فيه حقيقة النظر وتبصَّر ، وعمل ما أمره وترك ما نهى عنه فى العمل والقول وتحرر ، وكلما نظر فى عمله رأى أنَّه مُقَصِّر فيه تفكَّر ، لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا نوم إلَّا ذَكَرَ وَتَذَكَّر ، أما سمعت قوله فى الكتاب العزيز مسطَّراً إخباراً عنهم فى ذكرهم له قولًا بليغاً مُفَسَّر : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [2] ﴿ **وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ** ﴾ [3] فشكرهم على ذلك وستر ، بأنه راضٍ عنهم يوم تشقق السماء وتتفطَّر : ﴿ **يُنَبَّؤُاْ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ﴾ [4] ويبقى العاصى نادماً [5] على تفريطه مُحَسَّرٌ ، مُثَقَّل بحمل خطاياه وفى ذيل ذنوبه مُعَثَّر ، فإذا دُعِى لقراءة كتابه رأى ما فيه من السيئات تَحَيَّر ويرى غيره قد أُمِرَ به إلى النار مسحوب مُجَرْجَر ، فيندم فلا ينفع ، ويبكى فلا يُسْمَعُ ولا يُرْحَم ، ولا يُعْذَرُ ، فالعذابُ الشديد لِمَنْ كَدَّ وطغى وَتَجَبَّر ، وَنَصَحْتُكَ ، فالتوبة التوبة .. فعسى بعد الكسر تُجْبَر ، فهو المعين لمن لجأ إليه ، فله الحمد على ما قضى وَقَدَّر .

* * *

---

(١) البيتان من بحر الطويل .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(٣) سورة الحج ، الآية ٣٥ .
(٤) سورة القيامة ، الآية ١٣ .
(٥) فى الأصل « أ » : نام .

الفصل الرابع عشر

# تفاوت النفوس في الخير والشر

روى أبو موسى (١) رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **أنَّ الله خَلَقَ آدَمَ مِن قَبضَة قُبِضَتْ مِنْ جَمِيع الأَرْضِ ، فَجَاءُوا بَنُوا آدمَ علَى قَدْرِ الأرض : منهم الأَبْيَض ، والأَحمَر ، والأَسْوَد ، وبين ذلك ، والخبيث ، والطيب ، والسهل ، والحزن وبين ذلك** » (٢) .

وجاء فى حديث آخر : « **إنَّ الله خلقهُم فى ظُلْمَةٍ ، فَرَشَّ عليهم من نُوره ، فمن أصَابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضَلَّ** » (٣) . فهذا يدلّ على أن من خُلِقَ من الصفا صفا له ، ومن خلق من الكدر كُدِّرَ عليه فلم يصلح للقرب والرياضة ، وإنما يصلح عبد نجيب .

خُلِقَ إبليس من ماء غير طاهر ، فكانت خِلْعَةُ العبادة عليه عارية ، فَسَخَّن ماء معاملته بإيقاد نار الخوف ، فلما أعرض عنه الموقد عاد إلى برودة الغفلة . وَخُلِقَ عُمر من أصل نقى ، فكانت أعمال الشرك عليه كالعارية ، فلما عجّت نيران حمية الجاهلية أثَّرتْ فى طبعه إلى أن فنى مدد حظها بفناء مدة تقدير إعراضه ، فعاد سخنه إلى برد العرفان :

وكلٌّ إلى طَبْعِـهِ عَـائِـدٌ ... وَإنْ صَدَّهُ الصَّدُّ عن قَصْدِهِ
كما أن الماء من بعد إسخانه ... سـريعًا يعـود إلى بَـرْدِهِ (٤)

---

(١) أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى (٩٤٨) فى التفسير ، باب من سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود (٤٦٩٣ ) فى السنة ، باب القدر .

(٣) رواه الحاكم ٣٠/١ بقريب من لفظه ، وعن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ : « إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ شىء فقد اهتدى ، ومن أخطأ ضلَّ » . فلذلك أقول : جفَّ القلم عن علم الله . وصححه الحاكم وسكت الذهبى عليه .

(٤) البيتان من بحر الطويل .

**يا هـذا** : لاحت عقبة المعصية لآدم وإبليس ، فقال لهما لسان الحال : لابدّ من سلوكها ، فَسَلَكَا يَتَخَبَّطَانِ فى ظلامها ؛ فأما آدم فانكسر قلبه فى طريقه ، وبكى لصعوبة مضيقه ، فهتف به هاتف اللطف : لا تجزع أنا عند المُنْكَسِرَةِ قلوبهم من أجلى [1] ؛ وأما إبليس فجاء ضاحكاً معجباً بنفسه ، فثار الكِبْرُ من قلبه ، فتكاثرت ظلمة طريقه ، فلما ارتفعا إلى رأس العقبة ضُرِبَ ﴿ **بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [2] ، فقال إبليس : ياآدم كنا رفيقين فى عقبة المعصية ، فكيف افتراقنا [3] ؟ فنادى منادى الأزل : نحن قَسَمْنَا .

* * *

(١) لعله مأخوذ من الأثر الذى رواه أبو نعيم فى الحلية ٢٢/٤ بسنده عن وهب بن منبه ، قال : قال داود عليه السلام : « إلهى ، أين أجدك إذا طلبتك ؟ قال : أنا عند المنكسرة قلوبهم » .

(٢) سورة الحديد ، الآية ١٣ .

(٣) هكذا فى الأصل .

الفصل الخامس عشر

# رَوِّضْ نَفْسَكَ

**يا هذا** : طَهِّرْ قلبك من الشوائب ، فالمحبة لا تُلْقَى إلَّا فى قَلْبٍ طاهر ، أما رأيت الزارع يتخير الأرض الطَّيِّبَةِ ويسقيها ويرويها ثم يثيرها ويقلبها ، وكلما رأى حجراً أَلْقَاه ، وكلما شاهد ما يؤذى نَحَّاهُ ، ثم يُلْقِى فيها البذر ويتعاهدها من طوارق الأذى ؟ وكذلك الحق عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد عبداً لوداده حصد من قلبه شوك الشرك ، وَطَهَّرَهُ من أوساخ الرِّياء والشك ، ثم يسقيه ماء التوبة والإنابة ، ويثيره بمسحأة الخوف والإخلاص ، فيستوى ظاهره وباطنه فى التقى ، ثم يلقى فيه بذر الهدى ، فَيُثْمِرُ حب المحبة ، فحينئذ تُحْمَدُ المعرفة وطناً ظاهراً ، وقوتاً طاهراً ، فيسكن لب القلب ، ويثبت به سلطانها فى رستاق البذر[1] ، فيسرى من بركاتها إلى العين ما يفضها عن سوى المحبوب ، وإلى الكف ما يَكُفُّها عن[2] المطلوب ، وإلى اللسان ما يحبسه عن فضول الكلام ، وإلى القدم ما يمنعه من سرعة الإقدام ، فما زالت تلك النفس الطاهرة رائضها العلم ، ونديمها الحلم ، وسجنها الخوف ، وميدانها الرجاء ، وَبُستانها الخلوة ، وكَنْزها القناعة وبضاعتها اليقين ، ومركبها الزهد ، وطعامها الفكر ، وحلواها الأنس ، وهى مشغولة بتوطئة رَحْلِهَا لرحيلها ، وعين أملها ناظرة إلى سبيلها ، فإن صَعَدَ حافظاها ، فالصحيفة نقية ، وإن جاء البلاء فالنفس صابرة تقية ، وإن أقبل الموت وجدها من الغش خلية ، فيا طوبى لها إذا نوديت يوم القيامة : ﴿ **يَٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴾[3] .

* * *

---

(١) فى « أ » : البدن .　　(٢) فى الأصل « أ » : سوى المطلوب .

(٣) سورة الفجر ، الآيتان ٢٧ و ٢٨ .

الفصل السادس عشر

# خَالِفْ هَوَاكَ

لله درُّ نفس تَطَهَّرَتْ من أجناس هواها ، وتجلببت جلباب الصَّبر عند دنياها ، وشغلها ما رأى قَلْبُها عَمَّا رأت عيناها ، وإن مالت إلى الدنيا نهاها نُهاها [١] ، وإن مالت إلى الهوى شفاها شفاها ، سهرت تطلب رضى المولى فرضى عنها وأرضاها ، وقامت سوق المجاهدة على سوق هداها ، فباعت حرصها بالقناعة فظفرت بغناها ، وَفَوَّقَتْ [٢] سهام العزائم إلى أهداف المحارم تبتغي علاها ، ورمت نجائب الأسحار فساقها حادى الاستغفار إذ عناها ؛ وقطعت بيداء الجد بآلة المستعد فبلغت مُنَاهَا ، فمن أجلها ينزل القطر وينبت الزرع من جزاها ، ولولاها لم تثبت الأرض بأهل دنياها .

وما أعطى الصبابة ما استحقت     عليـه ولا قضى حـق المنـازل
مـلاحظها بعـين غُـرِّى غَيْرِى     وزائراها بجسم غير ناحـل [٣]

* * *

(١) **نُهـاها** : بضم النون : العقل .
(٢) **فـوقت** : صوَّبت .
(٣) البيتان من بحر الوافر .

## الفصل السابع عشر

# تبصّر في نفسك

يا من نَسِيَ العهد القديم وَخَانَ ، مَنِ الذى سوَّاك فى صورة الإنسان ؟ مَنِ الذى غذَّاك فى أَعْجَبِ مكان ؟ مَنِ الذى بقدرته استقام الجثمان ؟ مَنِ الذى بحكمته أَبْصَرَتْ العينان ؟ مَنِ الذى بِصَنْعَتِهِ سَمِعَتْ الأُذنان ؟ مَنِ الذى وَهَبَ العقل فاستبان للرشد وبان ؟ مَنِ الذى بَارَزْتَهُ بالخطايا وهو يستر العصيان ؟ مَنِ الذى تركت شكره فلم يؤاخذ بالكفران ؟ إلى كم تخالفنى وما يصبر على الخلاف الأبوان ، وتعاملنى بالغدر الذى لا يرضاه الإخوان ، وتنفق فِى خِلَافى مَا عَزَّ عِنْدَكَ وَهَانَ ، ولو علم الناس منك ما أعلم : ما جالسوك فى مكان ، فارجع إلىَّ فى ذلك فأنا المعروف بالإحسان :

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلَّا لِلْحَبِيب الأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فى الأَرض يَأْلَفُهُ الفتَى ... وحنينه أبداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ (١)

يا مُبَارِزاً بِالقبيح مَهِّدْ عُذْرَكَ ، يا مُوَاصِلًا نَقْضَ العهود جَانِبْ غَدْرَكَ ، يا مُدِيماً لِلتَّوَانى تَدَبَّر أَمْرَكَ ، يا مُؤْثِراً ما يفنى على ما يبقى خالفت خبرك ، يا لاهياً فى أَيَّام العوافى والله ما تُتْرَك ، يا واقفاً مع الأمانى ضَيَّعَتْ عمرك ، يا فارحاً بقصره تذكر قبرك ، يا حَامِلًا أثقال الذنوب هلَّا خَفَّفت ظهرك ؟ سار الصالحون إلى ذكرنا وآثرت هَجْرَكَ ، وسمعت سيرهم وضَيَّعْتَ أجرك . إِنْ أردت صُحْبَةَ المتقين فاشرح لليقين صَدْرَك ، وإن أَحْبَبْتَ حلاوة العواقب فاستعمل صبرك ، إن حلا شراب مناجاتنا فَبَدِّد خمرك ، إن طاب لك سماع ذكرنا فاكسر زَمْرَكَ ، اعْتَبِر عن خلِّ الثرى والكفان ، وَتَفَكَّر فى البلا ، وَتَذَكَّر ذاك الرِّفاق فما بينك وبين هذه الآفات إلَّا أن تُعَاين الوفا وفات .

---

(١) البيتان من البحر الكامل وذكرهما ابن عبد ربه فى العقد الفريد منسوبان إلى أعرابية كانت زوجة لأحد الأعراب . ( انظر : العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ببيروت ٥٨/٤ - ٥٩ ) .

الفصل الثامن عشر

# تَذَكَّر يَا عَامِل

يا من له قَلْبٌ ومات ، يا من كان له وقت وفات ، أشرف الأشياء قلبك ووقتك ، فإذا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وضَيَّعت وقتك : فقد ذَهَبَتْ مِنْكَ الفوائد ، أو كنت تبكى على ما فات فابْكِ على وَقْتِكَ :

وَيَبْكى على الموتى ويترك نفسه ويزعم أن قد قَلَّ عنها عَزَاؤُهُ
ولو كان ذا رأى وعقلٍ وَفِطْنَةٍ لكان عليه لا عليهم بُكَاؤُهُ (١)

**رُئى سمنون** (٢) يوماً على شاطئ دجلة وبيده قَضِيبٌ يَضْرِبُ به فخذه حتى تَبَدَّدَ لحمه وهو يقول : كان لى قلب أعيش به ضاع منِّى فى تَقَلُّبِهِ ، رَبِّ فَارْدُدْه علىَّ ، فقد عيل صبرى فى تطلبه ، وأغث ما دام لى رَمَقٌ يا غَيَّاثَ المُسْتَغَاثُ به ، ابكِ على وَقْتٍ كان قد صَفَا ، وعلى قلب صار كالصَّفَا (٣) ، وعلى زمان تَبَدَّلَ فيه الوصل بالجفا ، وعلى ربع خلا من اليقظة وعفا :

منـازل كنتُ أهـواها وَآلَفُهَـا أَيَّامَ كُنْتُ على الأيَّام منصورًا (٣)

ما تَتَوَّقِى فى سَمِينِ بَدَنِكَ حتى نسيت إدْرَاجَكَ فِي كَفَنِكَ ، ولا مَتَّعْتَ نفسك بمواعيد المُنَى إلَّا بعد أن أَسَرَك حُبّ الهوى ، أَمَا وَعَظَكَ الزمان من بسطه وقبضه ؟ أما أجدَّ لك بجديد بعد الاعتبار ببعضه ، أما تُدْرِكَ الحينِ من طوله وعرضه ، يا عجباً كيف التَذَّ حامل بغمضةٍ ؟ وكم طيل يوم ما أُدِّىَ

---

(١) البيتان من بحر الطويل .

(٢) هو : سمنون بن حمزة الخَوَّاص ، ويقال : ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان ورده كل يوم وليلة خمسمائة ركعة ، وسمى نفسه سمنوناً الكذاب لقوله :

فليس لى فى سـواك حظ فكيفمـا شئت فامتحنِّى

وا بتلى بعسر البول ، وكان يطوف على المكاتب ، ويقول للصبيان : ادعوا لعمِّكم الكذاب ، وله كلام متين فى المحبة ، وسوس فى آخر عمره ، وله كلام فى المحبة مستقيم . توفى سنة ٢٩٠ هـ .
( انظر : الأعلام ١٤٠/٣ وغيره ) .

(٣) **الصـفا** : أى الحجارة الملساء الصلدة . (٤) البيت من بحر البسيط .

بعض فرضه ، أما تعلم أنَّ المَمَات والحساب أمامك فَتَهَيَّأ للرحيل ، وأَصْلِحْ خِيَامَكَ ، واحفظ مقالتى واقطع قِطَعَ المدى مدامك ، واجتهد أن تنشر الإخلاص فى المحل إلَّا على أعلامك ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ فى الدُّجَى ، واهجر للمنام منامك ، ولا تترك ولو بت الليل عاصياً صيامك ، وَأَحْضِر قلبك وسمعك ، وإن قلا [1] من لامك ، وأَفِقْ فى زمان الإمكان قبل انثات[2] العرى غرامك ، واقطع بسيف التُّقَى كما يقطع الكلام كلامك ، وإيَّاك والفتور فإنى أرى الدواء دوامك .

* * *

(١) **قلا** : هجر وبغض .

(٢) **انثات** : كشف وإفشاء .

الفصل التاسع عشر

# الفَـائِزُونَ

**للـه دَرُّ** أقوام أقبلوا بالقلوب على مُقَلِّبها ، وأقاموا النفوس بين يدى مؤدبها ، وسلّموها إذا باعوها إلى صاحبها ، وأحضروا الآخرة فنظروا إلى غائبها ، وسهروا الليالى كأنهم وُكِّلُوا بِرَعْيِ كواكبها ، ونادوا أنفسهم صبراً على نار حطبها ، ومقتوا الدنيا فما مالوا إلى ملاعبها ، واشتاقوا إلى لقاء حبيبهم فاستطالوا مدة المقام بها .

إذا كُنْتَ قُوت النفـس ثم هجرتهـا     فَكَمْ تلبث النفس التى أنت قوتها ؟
ستبقى بقاء الضب فى الماء أوكما     يعيـش ببيـداء المهـامه حـوتهـا (١)

**بعض العابدات كانت تقول** : والله لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله وحُبًّا للقائه ، فقيل لها : على ثِقَةٍ أَنت من عملك ؟ قالت : لا والله ؛ لحبى إيَّاه وَحُسن ظنِّى به ، أفتراه يعذبنى وأنا أُحبه :

يا ناظر العين قل هل ناظرت عينى     إليـكَ يوماً وهَلْ تـدنُو من البـين
الله يعـلمُ أنى بعـد فـرقتكم كـ     طـائر سَـلَبوه مـن الجنـاحَـين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم     فإنَّ بُعدِى عَنكم قد حَنَا حين (٢)

لله درُّ أرواح تشتاق إلى روح قربة ، وتلتذ عند ابتلائه بوقع ضربة ، ويطول عليها الزمان شوقاً إليه لحُبِّه ، إن سَأَلْتَ عن صفاتهم ، فكلٌّ منهم مُخْلِصٌ لربه مجتهد فى طاعته ، خائف من عتبه ، قائم على نفسه باستيفاء الحق منها على قلبه وأنشد :

كيف يقعد رقيب مشتاق بحركة     إليـكم الخافقـان الشـوق والأمـل

---

(١) البيت فى بحر الطويل .     (٢) الأبيات من بحر البسيط .

فإن نهضت فما لى غيركم وطر	وإن قعدت فما لى عندكم شغل
لو كان لى يد ما اخترت غيركم	فكيف ذاك وما لى غيركم بدل
ولم تعرض الأقوام بعدكم يستأ	ذنون على قلبى فما وصلوا

* * *

الفصل العشرون

# سارع إلى التوبة والإنابة

**أيُّهـا العبد** : رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ على كُلِّ حـال ، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال ، وطَهِّر سِرَّكَ فهو عليم بما يَخْطُر بالبال ، المراقبة على ضربين ، مراقبة الظاهر لأجل من يعلم ، وحفظ الجوارح عن رذائل الأفعال ، واستعمالها حَذَراً ممن يرى ، فأمَّا مراقبة الباطن فمعناها أدب القلب من مساكنة خاطر لا يرضاه المولى ، وأجَدُّ السَّير في مراعاة الأولى ، وأما مراقبة الظواهر فهي ضبط الجوارح عن رذائل الأفعال ، واستعمالها في معالي الأعمال ، فمن كان مقامه المراقبة فحال المحاسبة .

**قال سرى**[1] : الشوق والأنس يرفرفان على القلب فكان هناك الإجلال والهيبة حلًّا ولا رحلًا ، ومن ظهر الخشوع على قلبه دخل الوقار على جوارحه .

**قال حاتم الأصَمّ**[2] : إذا عملت فانظر نظر الله إليك ، وإذا شكرت فاذكر علم الله فيك .

**وقال أبو الفوارس الكرماني** : من غَضَّ بَصَرَهُ عن المحارم وَأَمْسَكَ نفسه عن الشهوات ، وَعَمَّرَ باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتِّباع السُّنَّةِ ، وعَوَّد نفسه أَكْلَ الحلال لم تخطىء ، له فِرَاسة :

---

(١) سرى : هو أبو الحسن سريّ بن المُغَلِّس السَّقَطِيّ ، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد ، ملازماً بيته لا يخرج منه ، ولا يراه إلَّا من يقصده ، وكان تلميذ معروف الكرخي . مات سنة ٢٥٣ هـ . ( انظر : الأعلام ٨٢/٣ ) .

(٢) حاتم الأصم : أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان ، ويقال : حاتم بن يوسف ، ويقال : حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم ، من مشايخ خراسان ، ولم يكن أصماً ، وإنما جاءته امرأة تسأله مسألة ، فاتفق أن خرج منها ريح ، فخجلت ، فقال حاتم : « ارفعي صوتك » وأرى من نفسه أنه أصم ، فَسُرَّت بذلك ، وقالت : « إنه لم يسمع الصوت ! » فغلب عليه ذلك ، توفي سنة ٢٣٧ هـ . ( انظر : الأعلام ١٥٢/٢ ) .

كان رقيباً منك يرعى خـواطرى          وآخـر يَـرْعَى نَاظِـرِى ولسـانى
فما نظرت عينـاى بعـدك منظـراً          لعمـرك إلَّا قلت : قـد رمقـانى
ولا بَـدَرَتْ مِن فِيَّ بَعْـدَكَ لَفْظَـةٌ          لغـيرك إلَّا قُلْتُ : قـد سـمعانى
ولا خَطَرَتْ فى ذِكْرِ غيرك خَطْرَةٌ          عـلى القلب إلَّا عَـرجَا بعنـان
وفتيان صِدْقٍ قد سمعت كلامهم          وعُفِّفَ عنهم خاطرى وجنـانى
وما الدَّهر أسلا عنهم غير أننى          أراك علـى كل الجهات ترانى (١)

* * *

(١) الأبيات من بحر الرجز .

الفصل الحادي والعشرون

# ابتعد عن المعاصي

إِلَى مَتَى تَـمِيل إلى الزخارف ، وإلى كَمْ ترغب لسماع الملاهى المعَازِفِ ، أما آن لك أن تصحب سَيِّداً عارف ، قد قَطَّع الخوف قلبه ، وهو على علمه عَاكِف ، يقطع ليله قياماً ، ونهاره صياماً ، لا يميل ولا آنف ، دائم الحُزْنِ ، والبكاء متفرِّغٌ له ، ومنه خائف ، ومع ذلك يخشى القطيعة والانتقال إلى صعب المتالف ، وأنت فى غَمْرَةِ هواك وعلى حُبِّ دُنياك واقف ، كأنى بِكَ وقد هَجَمَ عليك الحِمام(١) العاسف ، وافترسك من بين خَليلك وصديقك المؤالف(٢) ، وَتَخَلَّى عنك حبيبك وقريبك ومن كنت عليه عاطف ، لا يستطيعون رَدَّ ما نزل بك ، ولا تجد له كاشف ، وقد نزلت بفناء من له الرحمة والإحسان واللطائف ، فلو عاتبك لكان عَتْبُهُ على نفسك من أخوف المخاوف ، وإن ناقشك فى الحساب ، فأنت تألف ، أين مقامك من مقام الأبطال يا بَطَّالُ ، يا كثير الزَّلل والخطايا ، ياقبيح الفعال ، كيف قنعت لنفسك بخساسة الدّون يا معنون ، وَغرَّتْكَ أمانيك بِحُبِّ الدنيا يا مَفْتُون ، هلَّا تَعَرَّضْتَ لأوصاف الصِّدق فاستحليت بها القَالَبِ الحق : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾(٣) إلى متى أنت مريض بالزُّكام ؟ ومتى تستنشق ريح قميص يوسف عليه السلام يا غلام ؟ لَعَلَّه يرفع عن بصيرتك حجاب العمى ، وتقف متذلِّلًا على باب إله الأرض والسماء ، خرج قميص يوسف مع يهوذا(٤) من مصر إلى كنعان ، فلا أهل القَافِلَةِ عَلِمُوا بريحه ، ولا حامل القميص علم ، وإنما قال صاحب الوَجْدِ : ﴿ إِنِّى

---

(١) الحمام : الموت .

(٢) المؤالف : الموافق لك على هواك .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

(٤) يهوذا : أحد إخوة يوسف .

﴿ **لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** ﴾ [1] ، كل واحد منكم فى فَقْدِ قَلْبِهِ كيعقوب فى فقد يوسف ، فلينصب نفسه فى مقام يعقوب ، ويتحسَّر وَلْيَبْكِ على ما سلف ، ولا يَيْأَس ، كيف طريق التَّحَسُّسِ قطع مراحل الليل وركوب نجائب العزم إنضاء بعير الجسم ومصاحبة رفقة الندم والمستغفرين بالأسحار .

* * *

(١) سورة يوسف ، الآية ٩٤ .

الفصل الثاني والعشرون

# بعض ثمرات الطاعة

**إخـواني** : من أراد دوام العافية فَلْيَتَّقِ الله ، ما أقبل مُقْبِلٌ عليه إلَّا وجد كل خير لديه ، ولا أعرض معرض عن طاعته إلَّا وَتَعَثَّرَ فى ثوب غفلته :

والله مـا جئتـكم زَائـراً إلَّا رأيت الأرض تطوى لى
ولا انثنى عزمى عن بابكم إلَّا تعـثَّرت بـأذيـالى [1]

روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « **قال ربكم عَزَّ وجَلَّ : لو أَنَّ عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أُسْمِعْهم صوت الرعد** » [2] .

**قال أبو سليمان الدارانى** [3] : من صفا صفا له ، ومن كدَّر كُدِّر عليه ، ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره .

**وقال الفضيل بن عياض** : إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خُلِقِ دابتى وجاريتى [3] .

فيامن من يريد دوام العيش على البقاء ، دم على الإخلاص والنقاء ، وإيَّاك والمعاصى ، فالعاصى فى شقاء المعاصى ، والمعاصى تذل الإنسان وَتُخْرِس اللسان ، وتُغَيِّر الحال المستقيم ، وتحمل الاعوجاج مكان التقويم .

**قال يحيى بن أبى كثير** : لَمَّا أصاب داود الخطيئة نفرت الوحوش من حوله ، فنادى : إلهى رُدّ على الوُحُوش كى أستأنس بها ، فردَّها الله عليه ،

---

(١) الأبيات من بحر الرجز .
(٢) قريباً منه ، فى العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لابن الجوزى ٢/٣٠٣ .
(٣) أبو سليمان الدارانى عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العَنْسى ، وهو من حى مذحج ، مات سنة ٢١٥ هـ .

فَأَحَطْنَ به واصطففن إليه فرفع صوته بقرآنه الزبور ، فنادته هيهات هيهات يا داود قد ذهبت الخطيئة بحلاوة صوتك ، فكان يقول : بُحَّ صوتى فى صفا أصوات الصديقين ، وأصبحت كالبازى المنتف ريشه يرى حسران كُلَّما طار طائرٌ :

يرى طائرات الجو يخفقن فى الهوى    فيذكر ريشاً من جناحيه وافر
وقد كان دَهْراً فى الرِّيَاضُ مُنَعَّماً    على كل من يهوى من الصَّيدِ قادر
إلى أن أصابته من الدهر نَكْبَةٌ    فأصبح مقصوص الجناحين حاسر
مضى السابقون الأوَّلون لفورهم    وقصَّرت فى أمرى وإنى لخاسر (١)

* * *

(١) الأبيات من بحر الطويل .

# الفصل الثالث والعشرون

# الصلاة

**اعلموا – إخـوانى –** أن الله عَزَّ وجَلَّ قد قَدَّر الصلوات وَقَدَّمها على غيرها من العبادات ، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها ، ويرجو أجرها ، ويخاف العقاب على تركها ، وهذه صِفَة المؤمن ، وإنما يتوانى عنها ناقص الإيمان إن تكاسل ، وكافر إن تهاون .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر [١] عن النبى ﷺ أنه قال : « **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** » [٢] .

وروى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « **عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلَّا رَفَعَكَ الله بها درجة وحَطَّ عنك بها خطيئة** » [٣] .

وروى أنس [٤] عن النبى ﷺ أنه قال : « **جُعِلَت قُرَّةُ عينى فى الصلاة** » [٥] .

وقد كان لله عَزَّ وَجَلَّ عباد يُحِبُّونَ خدمته لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِم إيَّاه فيُحضرون فى الصلاة قلوبهم ويُجمعون لأدائها هِمَمَهُم .

**وروى عن ابن الزبير** [٦] أنه كان إذا قام فى الصلاة فَكَأَنَّهُ عود من الخشوع ، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلَّا جزعاً

---

(١) هو : جـابر بن عبد الله .

(٢) والحديث رواه مسلم ١٤٤/١ واختصاره للألبانى رقم (٢٠٣) ٦٢/١ .

(٣) الحديث رواه مسلم (٨٢) فى الإيمان ، وأبو داود ( ٤٦٧٨ ) ، والترمذى ( ٢٦٢٢ ) .

(٤) رواه مسلم (٤٨٨) ، والترمذى (٣٨٨) ، والنسائى (٢٢٨/٢) من حديث أبى الدرداء .

(٥) من حديث أول : « حبب إلىَّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » من حديث أنس بن مالك ، رواه النسائى ٦١/٧ فى عشرة النساء ، باب حب النساء ، ورواه أحمد ١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناءوط فى جامع الأصول ٧٦٦/٤ .

(٦) هو جزء من حديث رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥) ، (٤٩٨٦) فى الأدب ، باب صلاة العتمة وصححه الأرناءوط فى جامع الأصول .

أو حائطاً أو وجه حجر أو رحل فدقه[1] وهو فى الصلاة فذهبت ببعض ثوبه فما التفت ، وكان إذا دخل بيته سكت أهل البيت ، فإذا قام إلى الصلاة تحدَّثوا وضحكوا .

**واعلموا – إخـوانى –** أن من أحَبَّ المخدوم أَحَبَّ الخدمة له ، لو عرف العبد من يُنَاجِى ، لم يُقْبِلْ على غيره ، والصلاة صلة بين العبد وبين ربِّه .

**الستر الأول** : الأذان ، كالإذن فى الدخول .

**وستر التقريب الإقامة** : فإذا كشْفَ ذلك الغطاء لاح للمتقى قُرَّة العى ، فَدَخَلَ فى دائرة دار المناجاة « **أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَال** »[2] ، فقد « **جعلت قرة عينى فى الصلاة** » اكشف يا بلال ستر التقريب عن الحبيب .

**يا بطَّال** : لو سافرت بلداً لَمْ تَرْبَح فيه حزنت على فوات [ ربحك[3] ] وضياع وقتك ، أفلَا يبكى[4] من دخل فى الصلاة على قُرَّة العين ثم خرج بغير فائدة .

يصـلى فيرسلها كالطيـور إذا أرسلت من حصار القفص
يقـوم ويقعـد مسـتعجلًا كمثل الطروب إذا ما رقص[5]

إخوانى : لا تقنعوا بالحركات ، فإن الله لا ينظر إلى صوركم .

**يا هـذا** : إنَّما يصاد الطائر بمحبوبه من الحَبِّ ، ومحبوب القلب الطاهر ذكر الله عَزَّ وجَلَّ ، فحرام على قلبك ، على قلبك الحائم حول جيف الهوى ، الْقِ له حَبَّ الذِّكر على فَخِّ الصدق فى حديقة الصور لعله يقع فى شبكة المعرفة .

---

(١) هكذا أو أظنها فدفعته .

(٢) فى مسند أحمد ج ٥ ص ٣٦١ ونصه « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » عن محمد بن الحنفية عن أبيه .

(٣) من عندنا ليستقيم المعنى .

(٤) فى « ب » : تبكى .

(٥) البيتان من بحر الرجز .

الفصل الرابع والعشرون

# عُد إلى ربك

**أيُّها العبد** : تَنَاهَ عن قبيح فِعْلك قبل انْبِثَاثِ جهلك ، وانظر لنفسك فى أَمْرِكَ قبل حُلُولِكَ فى قبرك .

**كتب الحسن** (١) **إلى عمر بن عبد العزيز** : أمَّا بعد ، فكأنَّك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

**ووعظ أعرابى ابنه** ، فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيَّام تنذرك ، والساعات تُعَدُّ عليك ، والأنفاس تُعَدُّ مِنْكَ ، أَحَبَّ أَمْرَيْكَ إليك أَرَدُّهُما بالمضرة عليك .

**وَوُجِدَ عَلى حَجَرٍ مَكْتُوبٌ** : ابن آدم ، لو رأيت ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ، ولرغبت فى الزيادة فى عملك ، ولقصَّرْت من جَهْلك وحِيلِكَ ، وإنَّما يَلْقَاكَ ندمك إذا زلَّت قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَكَ أهلُكَ وَحَشَمُكَ ، وباعدك الولد القريب ، ورفضك الولد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة . قبل الحسرة والندامة .

**وقف قوم على راهب فقالوا** : إنَّا سائلُوك ، أفمجيبنا أنت ؟ فقال : لا تُكْثِرُوا فإنَّ النهار لم يرجع ، والعمر لن يعود ، والطالب حثيث فى طلبه ، ذو اجتهاد ، فقالوا : ما على الخلق غداً عند مليكهم ؟ قال : على نِيَّاتهم ، قالوا : فأَنَّى الموئل ؟ فقال : إلى المقدَّم ، قالوا : فأوصنا ، قال : تزودوا على قدر سفركم ، فإن خير الزَّاد ما بلغ البُغْيَةِ .

---

(١) أى الحسن البصرى .

**يا هذا** : لا تجزع لرؤية ملك الموت ، وائت وأنت تشاهد فيها عملك ، عَمْرُكَ قليل ، وقد ضَيَّعت أكثره ، فكيف شعورك فى البقية ، ولعل هذا اليوم الآخر ، والليلة الأخيرة ما أرخص ما يُبَاع عمرك ، وما أغفلك عن السَّرى ، إنَّما المرض نهاية الصِّحَّة ، والفراق قرين الوصلة ، والأيَّام ترحل ، ولابد من مسَّة بدن والحبيب مفارِقٌ أو مُفَارَقٌ ، والمرء رهن مصائب .

الأيَّام تنقضى حتى يوارى جسمه فى رمسه (١) فمؤجل يلقى الردى فى غيره ، ومعجل يلقى الردى فى نفسه ، الدنيا لِمَنْ فَهِم ، قنطرة العبور وسوق التَّزَوُّد ومتطهرة التنظيف وزرعت للحصاد ، فأما للعاقل فهى مفرقة المجامع ، ومحزنة الرُّبوع ، ومجرية الدُّموع ، من نال من دنياه أمنيته اسقطت الأيَّام منها الإلف ، اطلب فيها قدر بلغتك ، وخذ مقدار حاجتك خصها خصوص المسافر فى طلب علف بعيره ، اطلب الدنيا قدر الحاجة ، واطلب الآخرة على حسب الطاقة ، هذا ولو أنَّك بلغت إلى الحمى التوكل لاستراح قلبك ، وغذَّاك الله كما يُغَذِّى الطير ، تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً .

* * *

---

(١) **رمسه** : قبره .

## الفصل الخامس والعشرون

# احذر الغفلة

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١) .

فإن اختلف المفسرون فى المراد بمقام ربه على قولين :

**أحدهما** : إنه قيام العبد بين يدى ربِّه يوم الجزاء .

**والثانى** : إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب ، والمراد بالهوى هٰهنا ، ما يهوى العبد من المحارم ، فيذكر مقامه للحسنات ، واعلم : أن من تَفَكَّر عند إِقْدَامِه على الخطيئة فى نظر الحق إليه ردَّه فِكْره خجلًا ممَّا همَّ به ، فالنَّاس فى ذلك على مراتب فمنهم من يتفكر عند جولان الهمِّ بالذنب فيستحى من مساكنة ذلك الخاطر ، وهذا مقام أهل الصفا ، ومنهم من قويت أسباب غفلته فهو ساكن ذلك الهم إلَّا أنه لا يعزم عليه ، ومنهم من يعزم لقوة غفلته ، فهو يستسقى إقدامه فيما عزم عليه ، ومنهم من زاد على ذلك بمقارنته المحظور ومداناته ، ثم تدركه اليقظة ، وإنَّما يكون هذا على مقدار تكاثف الغفلة وقلتها ، فيفكر عند خاطره فى عظمته من قد علم ، وعند يقظه فى جلال مَنْ قد سمع ، وعند فعله فى عِزَّةِ من قد رأى ، وهذا الفكر إنَّما نَبَتَ عن إصرار راسخ من الإيمان فى القلب راعاه الحق إليه حذار علته (٢) ومعاملة صادقه فى الخلوة ، إلَّا أن الغفلة عن التَّذْكرة والسعى على جادة الهوى غشى على القلب ، وران عليه فإذا هَمَّ بخطيئة أو قاربها اقتلب مراعاة الحق إليه ، خذ مراعاته بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا

---

(١) سورة النازعات ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ . (٢) هكذا .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٤٣ .

**صَالِحًا ﴾**[1]، وكما جاء فى الحديث : « **تَعَرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة** »[2] .

فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام فى بحر الحياة خجلًا مما همَّ به يخرج نقيًّا بعد الوسخ طاهراً بعد النجس ، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان ، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراقع الذنب ، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع ، وأقام له هاتف التقوى فخشع ، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت ، وتنازع إلى ما مرنت عليه وعرفت .

أما سمعت قول عمر بن أُبيّ :

بينما نحن فى ولادك فالقاع ... سراعاً والعيش يهوى هويًا
خطرت خطرة على القلب من ... ذكراك وهنا فما أطقت مضيًّا
قلت للشوق إذا دعانى ... لبيك وللحادين ردُّوا المطيًّا

* * *

أثارهم بعدهم وما صنعوا ... تخبرنا أنُنَّا لهم تيعُ
يا واقفا بالدِّيار مُكْتَئِباً ... يندب قوماً من ملكهم نُزعوا
ادخل إلى الدار فهى خالية ... من سادة فى التراب قد وضعوا
إذا تأملتهم كأنهم ما ... نظروا نظرة ولا سمعوا
ولا جرى بينهم مذاكرة ... ولا لنصر سعوا ولا نفعوا
كانوا كركب خطور رحالهم ... فما استراحوا حتى لها رجعوا

تَمَّ كتاب الياقوتة على التمام والكمال ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

* * *

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

(٢) جزء من حديث ابن عباس الطويل ، رواه أبو نعيم فى الحلية ٣١٤/١ فى ترجمة عبد الله ابن عباس ، وفى سنده رجلين مجهولين فهو ضعيف .

# فصل لابن الجوزى

# تتمة الكتاب[1]

أين من شيَّد القلاع وعمَّر الحصون ، واستخرج من الكنوز المال المصون ، أما دار عليه رحى المنون ، أما صار كل منهم فى الثرى بعمله مرهون ، فتيقظ أيها الغافل قبل أن تخمد حركاتك بالسكون ، وتزول إلى اللحد المسكون ، ولا تركن إلى الآمال ، فيوم المآل كأن قد سيكون ، اعتبر بدوران الأقدار على ذوى الأقدار ودع عنك الجنون ، أما سمعت ما قال الله فى كتابه المكنون : ﴿ **سَنَسْتَدْرِجهُم مِن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

يامن أطال قطيعتى يوم اللقاء متى يكون ، لَأُخَرِّقَنَّ ملابسى وأبوح بسرى المصون ، حتى تقول عواذلى : ماذا هوى ، هذا جنون[3] .

* * *

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨٢ .

(٣) تمت المخطوطة ، والحمد لله أولًا وآخراً . (أحمد عبد التواب عوض ) .

# الفهارس الفنية



* * *

# فهرس الآيات القرآنية

| الآيـــة | اسم السورة | رقم الآيـة | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى | النازعات | ٤٠، ٤١ | ١١٧ |
| يَاأَيَّتُهَا النَّفسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرضِيَّةً | الفجر | ٢٧، ٢٨ | ٩٧ |

* * *

# فهرس الأحاديث النبوية

| الحـــديث | مصــــدره | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| جُعِلَت قُرة عينى فى الصــلاة | النسائى وغيره | ١١٣-١١٤ |
| سيروا سبق المُفردون | البخارى ومسلم | ٩٣ |
| عجب ربنا من رجلين | أبو داود وغيره | ٦٩ |
| عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصَّالحين | أحمد وغيره | ٦٩ |
| عليكم بكثرة السُّجود | مسلم وغيره | ١١٣ |
| قال ربكم عزَّ وجلَّ : لو إنَّ عِبَادى أطاعونى | العلل المتناهية | ١١١ |
| قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنَّة | أحمد وغيره | ٧٩ |
| الكيِّس من دان نفسه | أحمد وغيره | ٨٣ |
| ما ذكر الجنَّة إلَّا مُشَمِّرٌ إليها | ابن ماجه | ٨٠ |
| ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء | البخارى | ٨٧ |
| والذى نفسى بيده إن الدنيا أهون | البخارى وغيره | ٦٧ |
| يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف | الحاكم وغيره | ٨٧ |
| يعرق الناس يوم القيامة | صحيح البخارى ومسلم | ٥٣ |
| يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة | أحمد وغيره | ٨٨ |

* * *

# فهرس الأعلام

* * *

# فهرس الأشعار

| صدر البيت | القافية | البحر | عدد الأبيات | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| بكيت | البكاء | الوافر | ٢ | ٤٥ |
| ألا ما لعين | استهلت | الطويل | ٥ | ٥٢ |
| من لم يبت | الأكباد | الوافر | ١ | ٥٢ |
| لا تجزعنَّ | الأقدار | الرجز | ٦ | ٨٢ |
| وداع دعا | ولم يدر | الطويل | ٢ | ٩٤ |
| يرى طائرات | وافر | الطويل | ٢ | ١١٢ |
| كفى حزنًا | قفر | الطويل | ١ | ٧٢ |
| أنوح | الظهر | الطويل | ٢ | ٤٦ |
| منازل | منصورًا | البسيط | ١ | ١٠٣ |
| يصلى | القفص | الرجز | ٣ | ١١٤ |
| تصاعد | المدامع | الطويل | ٢ | ٤٦ |
| أثارهم | تبع | | ٦ | ١١٨ |
| أحيوا | جميعًا | الكامل | ٣ | ٦١ |
| ولمَّا وقفنا | توقفا | الطويل | ٢ | ٧٢ |
| قف | وتشوقا | الكامل | ٦ | ٨٩ |
| يا عاذل | حشاكا | الرجز | ٢ | ٥٦ |
| بشرها | والجبالا | الرجز | ١ | ٧٩ |
| وما أعطى | المنازل | الوافر | ٢ | ٩٩ |
| كيف | والأمل | | ٤ | ١٠٥-١٠٦ |

| صـــدر البيت | القـــافية | البحـــر | عـــدد الأبيـــات | رقم الصـفحة |
|---|---|---|---|---|
| نقِّل فؤادك | الأولِ | الكامل | ٢ | ١٠١ |
| والله | تطـوى لى | الرجـز | ٢ | ١١١ |
| نسيم الصبا | سلام | الكامل | ٥ | ٧٢ |
| فإن تمنعوا | فَمُسَلِّم | الطويل | ١ | ٨٩ |
| أجارتنا | المُتَيِّمُ | الطويل | ٥ | ٤٨ |
| كان رقيبًا | ولسانى | الرجـز | ٦ | ١٠٨ |
| كم قد | وأهلانا | | ٤ | ٩٠ |
| أظلت | وأمطرتنا | | ٢ | ٩٢ |
| بكى | يسأمونا | الهـزج (غيرالمجزوء) | ٢ | ٥٠ |
| ورقت | جفـونى | الطويل | ١ | ٥١ |
| يا ناظـر | البين | البسيط | ٣ | ١٠٥ |
| ويبكى على | عـزاؤه | الطويل | ٢ | ١٠٣ |
| إذا كنت | قوتهـا | الطويل | ٢ | ١٠٥ |
| وكل إلى | قصـده | الطويل | ٢ | ٩٥ |
| بينما نحن | هـويا | | ٢ | ١١٨ |

* * *

# فهرس الأماكن والبلدان



* * *

# أهم المصادر والمراجع


* **القــرآن الكريم .**
* **كتب السُّنَّة التســعة .**

١ - **ابن الجوزى الواعظ ومنهجه فى الدعوة إلى الله** : جمعه الخولى ، رسالة دكتوراة ، مخطوطة بكلية أصول الدين بالأزهر .

٢ - **الأسـرار المرفوعة فى الأخبار الموضـوعة** : على القارى ، طبعـة دار الكتب العلمية .

٣ - **الأعــلام** : خير الدين الزركلى ، ط دار العلم للملايين سنة ١٩٩٢م .

٤ - **تاريخ إربل** : ابن المستوفى ، نشر وزارة الثقافة العراقية سنة ١٩٨٠م .

٥ - **تاريخ بغــداد** : الخطيب البغدادى .

٦ - **تذكرة الحفـاظ** : الحافظ الذهبى .

٧ - **تذكرة الموضـوعات** : لابن القيسرانى .

٨ - **تقريب التهذيب** : لابن حجر العسقلانى .

٩ - **تهذيب التهـذيب** : للذهبى .

١٠ - **تهذيب سير أعلام النبلاء** : للذهبى ، ط دار الرسالة سنة ١٩٩٢م .

١١ - **جامع الأصـول** : لابن الأثير .

١٢ - **حلية الأوليـاء** : لأبى نعيم .

١٣ - **الـدر المنثـور** : السيوطى .

١٤ - **الذيل على طبقات الحنابلة** : ابن رجب ، ط دار المعرفة ببيروت .

١٥ - **زاد المسير فى علم التفسير** : ابن الجوزى ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامى سنة ١٩٨٤م .

١٦ - **شذرات الذهب** : لابن العماد الحنبلى .

١٧ - **شعب الإيمان** : البيهقى .
١٨ - **صفة الصفوة** : لابن الجوزى .
١٩ - **العقد الفريد** : **لابن عبد ربه .**
٢٠ - **معجم المؤلفين** : عمر رضا كحالة ، ط دار الرسالة .
٢١ - **الموسوعة الصوفية** : للدكتور عبد المنعم الحفنى ، ط دار الرشاد سنة ١٩٩٢م .

* * *

# فهرس الموضوعات

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع | الصفحة

* * *

# دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس ٢٢٢٢٦٦٢

المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٢١

الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦